

معايا مصرفى السودان

مخزون

الورقة العربية للكتاب



الطبعة الخامسة - الجمالية - سنة ١٩٩٢ هـ

الورقة الحرة للتعبير الفني



أ. عطية أنطوان - الجمالية - م ١٩٨٢ م

ضحايا مصر في السودان وخفايا السياسة الانجليزية

للباحث المطلع

« محزون »

طبع على نفقة دائرة

مضرة صاحب السمو الامير الابل عمر طوسون

١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

مطبعة صلاح الدين الكبرى بالاسكندرية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء الكتاب

أهدى كتابي هذا الى حضرة مولاي صاحب السمو الامير
الجليل المحبوب عمر طوسون عين الأمة المصرية وانسانها وقلبها
ولسانها وحفيد محي مصر ومنشئ السودان واسمي من قدر السودان
قدره واجل من اشاد بذكره واعظم من نادى بوجوب رده الى
حظيرة الوطن الاكبر

والى أرواح أولئك الشهداء الابرار الذين رووا أرض السودان
بدمائهم الزكية تفانيا في الابقاء على العلاقات التاريخية والصلات
الابدية التي تربط مصر به من مبدأ الزمان وكتبوا بذلك أخلد صفحة
في سجل أشرف تضحية (أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)

المؤلف

السودان

النيل نيلنا والسودان بلادنا

ففعالوا الى كلمة سواء بيننا



تمهيد

السودان روح مصر وحياتها — ان تركته لا يتركها وان تركها لا تتركه — مافي هذا أقل شك ولا أدنى ريب فليعلم من لا يعلم أن كل حل للسألة المصرية من شأنه أن يفصل السودان عن مصر انما هو حل فاشل مقضى عليه بالحقبة الدائمة والنحس المستمر . وسوف تظل مصر ساخطة غاضبة مالم يبق السودان جزءا منها لا يتجزأ وانه خير للبصريين السمر والمصريين البيض ان يرسفوا معا الى الابد في أغلال الاستعباد من أن يبت في مصير كل منهما على حدة

وبعد فقد آن للانكباب ولمن يود من ابناء هذا الوطن التعس لو يجاريهم في اعتبار أن مصر شيء والسودان شيء آخر ، ان يرجعوا الى التاريخ القديم حتى يتبين لهم انه لم يكن ثمت في العالم ما يدعى بالامبراطورية البريطانية بل بريطانيا الصغرى أيام ان فتح فراعنة الاسرة السادسة القديمة بلاد السودان منذ اكثر من اربعة آلاف

من الاعوام . وان صلات الدم ووشائج القرابة والنسب تربطنا
بالسودانيين من اقدم العهود . وانه ثبت ان عرب الرعاة لما
اغاروا على مصر نزح الكثيرون من أهلها الى مهجرهم الطبيعي
ببلادهم الجنوبية فزواجوا وتناسلوا وامتزجوا باخوانهم هناك امتزاج
الماء بالماء.. ولما ان قيضت الاقدار لمصر فرعونها احميس لطرد
الرعاة من بلاده تعاون المصريون والسودانيون جميعا على اجلاء
الغاصب وغسل العار . وقيل أن يفعلوا بنى فرعون مصر بانه
عاهل السودان . وأن مصر ماأبت على السودان أن يحكمها بعد مائشأ
وشب وثرعرع فى كنفها فحضعت لحكمه زهاء النصف قرن فى عهد
الملك بعنخى ميامون وخلفائه . على نحو مايفعل الاخوة حيث يسود
الاقوى والارشد - وان اولياء عهد مصر كان يجلس اغلبهم على
عرش السودان قبل ان يؤول اليهم ملك مصر

ومالنا والتاريخ القديم - فلندعه جانبا - ولنرجع الى التاريخ
الحديث - أفلم يأن لاحد من غلاة المستعمرين ان يدلنا على
عدد الفرق الانكليزية التى استعان بها عزيز مصر محمد على فى فتح
السودان ذلك الفتح الذى بدأ وتم بناء على رغبة اهله انفسهم - اذ
وفد الامير بشير ود عقيد وفى ركابه شاعر السودان يترنم بقوله

(ولاك مقهور . ولاك منهور . بطر جيت شاكى

وكم تلبا كبير منك . يبيض ويكاكى)

(سلام عليك يا مصر العزيزة . الليلة مكثنا جاكى)

(ومعناه - ان الملك السوداني لم يأت الى محمد على مقهورا ولا
منهورا فبطرا يشكو لأن اكبر اعدائه بجّار منه - وانما جاء بخطب
ود مصر العزيرة)

اللهم ان محمد على لم يستعن بعد الله بغير جيشه المظفر بقيادة
نجله الامير الشهيد اسماعيل الذى لقي حتفه على منوال اسوأ مما
حدث لبطلمى غوردون

وكم انفتحت انجلترا من مال وبنين فى ربوع السودان فى القرن
الماضى . وكم مد فيه رجالها من الخطوط الحديدية وازالوا من
السود النيلية ومهدوا من الطرق الصحراوية وعبدوا من الاحراش
والغابات واقاموا من المرافق والمنشآت

ولندع التاريخ الحديث ايضا لنعود الى الاحداث . اى منذ قيام
الثورة المهدية . ولنرجى التكلم على الاسباب التى ادت الى تلك الثورة
لننحصها بعد حين - ولنبحث الآن فيما ترتب عليها بعدما تسيطر
الانكليز علينا

أفى الحق اتنا كنا بحاجة الى اخلاء السودان بعد ما قبض القائد
النابه الذكر عبد القادر باشا حلى على ناصية الحال واوشك ان
يقضى على الثورة قضاء مبرما . ام كان ذلك لحاجة فى نفس جون
بول لم تك تقضى الا باستدعاء القائد المصرى تميدا لنكبة هكس

شئ من الصراحة - ابها الناس - فقد طفح الكيل . وبلغ السيل
الزبي وعلت الوهاد الربا - الم تضح انكلترا بهكس تخلصا من البقية

الباقية من الجيش العربى . الم تضح بغوردون تنفيذاً لسياسة
اجلاء المصريين عن السودان . الم تنتهز فرصة مقتل السردار
لتلثم السودان وتبخره بنرا من جسم الوطن الاكبر

هاهى ضحايانا وضحاياكم من وقت قيام الثورة المهدية حتى مقتل
التعاشى اعنى من ١٢ اغسطس سنة ١٨٨١ الى ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٩٩
قد توخيت الدقة المتناهية فى احصائها كيلا انهم بالتحيز والتحاميل
ولم اقدم على اعلانها الا بعد ان راجعت كل ماوقع ييدى من
الكتب والمستندات التاريخية وانا بالسودان اولا وبمصر اخيرا
مثنى وثلاث وقارنت بين ماورد فيها وما دوته بمذكراتى من اقوال
المعاصرين من شهود الرؤية من مواطنينا هنا وهناك الذين
اشتركوا فى معظم الوقائع - ثم قابلت بين هذا كله وما جاء بمؤلف
نعوم بك شقير وهو . خلاصة وافية لما كتب مختلفو المؤرخين عن
السودان وقد اشتهر صاحبه بأنه من اكثر الباحثين اعتدالا واقليم
جميعا اسرافا فى تقدير عدد الضحايا فضلا عن كونه قد شاهد
بعينه اغلب وقائع الفتح واستشهدت باقوال كل من سلاطين باشا
فى وقائع دارفور وابراهيم فوزى باشا فى وقائع الخرطوم لانها
حضرا تلك الوقائع بنفسيهما

وحسبى الآن ان ادع للأرقام الكلام

ضحايانا وضحاياهم

من الارواح

الوقائع
من الاول

ملاحظات	خسائر انجلترا	خسائر مصر	التاريخ	الوقائع
تمتلئ في هذه الرقعة ١٠٠٠ من الشوك وملكم قتل علاوة على رجال الجيش ٧٠٠٠ من الاعراب والذين لصر		٤٠٠	١٢ اغسطس سنة ١٨٨١	واقعة آبا
		٦٠٠	٩ ديسمبر سنة ١٨٨١	» راشد بك
		٤٠٠٠	٢٩ مايو سنة ١٨٨٢	» الشلالى
		٥٠٠٠		

الوقائع
من الج

ملاحظات	خسائر انجلترا	خسائر مصر	التاريخ	الوقائع
		١٠٠٠	ابريل - يونيه سنة ١٨٨٢	وقائع ابن الكاشف. والثريف احمد طه. ومحمد زين. وتيقو
		٢٠٠٠	» يولييه	واقعة الجبين
		١٠٠٠	» اغسطس - ديسمبر »	وقائع شات. والدويم. وام سينطة وحلة حجاج
		٥٠٠	١٨٨٣ يناير - مارس	وقائع متروق. والداعى. وسقدمويه والتبنة
		٤٥٠٠		

وفاء صكوف ان

الوقائع	التاريخ	خسائر مصر	خسائر إنجلترا	ملاحظات
وفائع البركة وبارا والطيارة والايض الاول	مايو - سبتمبر ١٨٨٢	٣٠٠٠		دفع في الطائرة نحو ١٠٠٠٠٠ تاجر مصري ونسبت هذا مهم
واقعة على بك لطفى أبو كوكه	سبتمبر	٢٠٠٠		حدثت الموقعة في حلة صكر رد جنون
حصار بارا وسقوطها	٥ يناير ١٨٨٣	١٠٠٠		} جمع من الاطلاب ٣ مليون ريال و ٢٥٠ ألف جنيه . وأربعة آلاف أروية ذهب عام . وخمسة قناطر حلي . ٥٠ و ١٠٠ قنطار (نفقة . وظل دسج نحو ١٠٠٠٠٠ قن وقناة
الابيض وسقوطها	١٩ يناير	٣٠٠٠		
واقعة المراسيح	ابريل	٣٠٠٠		
د مكس	٥ نوفمبر	١٠٠٠٠	١	
		١٩٣٠٠	١	وكي مؤسسة شبكان

وقائع دارفور

ملاحظات	خسائر انجلترا	خسائر مصر	التاريخ	الوقائع
قتل في هذه الوقائع ٧٠٠٠ من الاعراب المولدين للحكومة. وتعذب المصريون والمصريات أعداء العناب		٣٠٠٠	يولييه ١٨٨٢ يناير ١٨٨٤	ثورة الشيخ المادبو. وحصار دارة وكبكية. والفاشر وسقوطها

وقائع بحر الغزال

ملاحظات	خسائر انجلترا	خسائر مصر	التاريخ	الوقائع
اسر لبتون بك مدير بحر الزغال ومات خنق افعه بالاسر	١	٥٠٠	١٨٨٢ — ١٨٨٤	وقائع الجانقي والشيخ بانكو وبحريري

وقائع سنبل

ملاحظات	خسائر انجلترا	خسائر مصر	التاريخ	الوقائع
		١٠٠٠	١٨٨٣ — ١٨٨٤	وقائع الشريف انجضو وقاملكو ودمدني وفداسي والي الحسني والشيخ غالب

وقائع طوكر وسواكن وسنكات

ملاحظات	خسائر إنجلترا	خسائر مصر	التاريخ	الوقائع
لم اتدل على عدد القتلى من الجيش المصري في هذه الواقعة وسبع انه لا يوجد شك في كونه اضعاف ماقل من الانكسار كما هي العادة فقد حيرت صفحا عن تقديره	١٨٩	١٥٠٠	اقطع - ديسمبر ١٨٨٣	{ وقائع سنكات . وقاب . وابنت . (والتيب الاول . وطاي الاول
	٢٢٠	٣٠٠٠	فبراير ١٨٨٤	واقعة التيب الثانية
	٤٨	٦٠٠	"	حصار سنكات وسقوطها
	٢٩٦	٥٠٠	"	" طوكر "
	٧٥٣	٥٦٠٠	مارس	واقعة التيب الثالثة
			"	" طاي الثانية
			"	" تل هشيم
			"	" توفرك

وقائع السودان الشرقي

ملاحظات	خسائر إنجلترا	خسائر مصر	التاريخ	الوقائع
قتل في هذه الواقعة وسواها تلك الهجمات نحو		٥٠٠	نوفمبر وديسمبر ١٨٨٣	وقائع مريوط . وقدي . وزرقه
العشرة آلاف من رجال القبائل المواليين لمصر		٥٠٠	فبراير ومارس ١٨٨٤	الجمام . والعشرة . وسدينة
وغضوبهم من شجاعة الادة الرقبة		١٠٠٠	٥ يناير ١٨٨٥	واقعة قلوسيت
		٢٠٠٠		

وقائع خط الاستواء

ملاحظات	خسائر إنجلترا	خسائر مصر	التاريخ	الوقائع
		٢٠٠٠	١٨٨٩ - ١٨٨١	وقائع خط الاستواء

وفائى بربر

الوقائع	التاريخ	خسائر مصر خسائر إنجلترا	ملاحظات
حصار بربر وسقوطها	١٩ مايو سنة ١٨٨٤	١٥٠٠	رصيد التراب بالقرية ٥٥٨١٢ جنيها كانت مرسلة الى مصر. } و ٨٠٠٠٠ كانت حصة. وفتح ٣٠٠٠ مصرى

وفائى دقة

الوقائع	التاريخ	خسائر مصر خسائر إنجلترا	ملاحظات
وفائى دقة	سبتمبر ١٨٨٤	٤٠٠	

قوائم حصار الخرطوم وقائم

ملاحظات	خسائر إنجلترا	خسائر مصر	التاريخ	الوقائع
		٣٥٠٠	سنة ١٨٨٤ م مارس	وقائع الحلفاية الاولى . والشرق والحلفاية الثانية
		٢٥٠٠	يوليو واغسطس	وقائع القطنة . والكلاكلة . وبرى . والجريف . والحلفاية الثالثة
		٨٠٠٠	سبتمبر	وقائع بوحراز . والعلفون . وامضبان
	٢	٢٠	"	بعثة استيوارت
الكوئيل استيوارت والمتر باورفصل انكلترا بالخرطوم		٣٠٠	يناير ١٨٨٥	حصار ام درمان وسقوطها
الحصى من النسيان ٣٠٠ الف جنيه . و ٣٠٠ الف ريال ٣٠٠ قطار حلى . و ٤٠٠ قطار قنعة . و سبت ٣٥٠٠٠ نقطة . و قتل ٢٤٠٠٠ مصرى من السكان	١	٨٠٠٠	يناير	سقوط الخرطوم
	٣	٢٢٣٢٠		

وردون إذ غ له أنة ح

ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات
لم تذكر خسر مصر مسج ان الجرد المبردة حلت البرنر فوق القلايات بلاجة ايمان	خسائر إنجلترا	خسائر مصر	التساريج	الوقائع	وقائع ابو طليح والتمنه وكر بكان
	٣٤٩		١٧ يناير - ١٠ فبراير ١٨٨٥		

ح كار ك ح

ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات
	خسائر إنجلترا	خسائر مصر	التساريج	الوقائع	وقائع كسلا وسقوطها
		٤٥٠٠	٢٩ يريه سنة ١٨٨٥		

ح سار ح ح

ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات
مورد جميع الذهب الذي وجد لدى الاتصال وكانوا اشغف اصل المودان	خسائر مصر	خسائر إنجلترا	التساريج	الوقائع	وقائع حصار سنار وسقوطها
	٥٠٠٠		١٩ اغسطس سنة ١٨٨٥		

قوائم الحوادث

ملاحظات	خسائر مصر	التاريخ	الوقائع
	١٥٠٠	١٨٩١ - ١٨٨٥	وقائع الحدود

استرجاع طوكر

ملاحظات	خسائر مصر	التاريخ	الوقائع
	٢٠٠	١٨٩١ - ١٨٨٨	واقعتا هندوب . والجميزة

تجربة دقة

ملاحظات	خسائر مصر	التاريخ	الوقائع
	٢٥٠	ابريل - سبتمبر ١٨٩٦	وقائع تجريد دقة

وراء الكوراء

الوقائع	التاريخ	خسائر مصر	خسائر إنجلترا	ملاحظات
وباء الكوراء	١٥ يونيه - ٢٠ اغسطس ١٨٩٦	١٢٠	١٩	

وقائع مع الفتح الاخير

الوقائع	التاريخ	خسائر مصر	خسائر إنجلترا	ملاحظات
واقعة ابو حمد	اغسطس سنة ١٨٩٧	٨٦		
د عطية	ابريل ١٨٩٨	٤٣٣	١١٧	
د ام درمان	٢ سبتمبر ١٨٩٨	٣٣٠	١٦٠	
د الرصيرص	٢٦ ديسمبر ١٨٩٨	١٤٦		
واقعة ابو عادل . والجديد	٢٣ و ٢٤ نوفمبر ١٨٩٩	٢٦		
		١٠٢١	٢٧٧	

فجيلة الضحايا من الجيش المصرى ٨٠٠٠٠ تقريبا (٧٩٧٥١) مقابل
١٤٠٠ من الجيش الانكليزى

ولرب معترض يقول . وهل كانت لمصر كل تلك الجنود
بالسودان ؟ ودفعنا لهذا الاعتراض أذكر فيما يلى بيان الجيش الذى
كان مرابطا بالسودان قبيل الثورة : —

١٩٥٠	ضابطا وجندبا	بدتقله
٢١٧٠	»	»
٧٤٧٠	»	»
٢٣٥٠	»	»
١٦١٠	»	»
٨٠	»	»
٠٢٠٠	»	»
٣٩٤٠	»	»
٩٢٠	»	»
١٩٠٠	»	»
٣٤٧٠	»	»
٥٨٣٠	»	»
٤٨٦٣	»	»
٨٨٦	»	»
٢١٣١	»	»
٤٠٤٩٠	الجملة	

الجديد الذى تألف بعد حل الجيش العراقى وعدد رجاله لايتجاوز الستة آلاف لم يتم تدريبه ولايستطاع الاستغناء عنه وكانت السياسة الأنكليزية مصممة على إرسال حملة يكر بحجة إنقاذ حاميتي سنكات وطوكر جمع من الرديف:-

٦٥٠	جنديا من الاسكندرية
٥٠٠	القاهرة
٤٥٠	عساكر مصوع
٤٢١	عساكر سنهيت
٤٢٩	الأتراك الباشبوزق
٦٢٨	عساكر الزبير باشا
١٢٨	الطوبجية
٣٠٠	الفرسان المصريين
١٥٠	الفرسان الباشبوزق

والجمله ٣٦٥٦

مات خمسة اسداسهم فى أول موقعة

الضحايا من غير العسكريين

هذا وقد أجمع المؤرخون والمعاصرون على أن عدد الضحايا من المصريين المدنيين الذين لم يشتركوا في الحروب فاق كل حصر - ونحن نقدرهم بما لا يقل عن ربع مليون شخص - وندلى فيها على بالأدلة التاريخية والحوادث الواقعية التى تؤيد هذا التقدير :-

أولاً

كانت مدينة الطيارة أكبر مركز لتجارة الصمغ وريش النعام وسواهما من محصولات كردفان وكان بها زهاء العشرة آلاف تاجر وعامل جلهم من المصريين فذبخوا على بكرة أبيهم حيث اعتزم الفقيه المنة - زعيم قبائل الجمع والجوامعة وأخطر الثوار في صحراء كردفان - أن يقضى على جميع الذكور حتى الأجنحة فى بطون أمهاتها خشية أن تكون ذكورا . وقد بقرت بطون نحو ألف سيدة حبلى لهذه الغابة الوحشية . وكان قومه يقذفون بالأطفال فى الجو ويتلقونهم على أسنة الرماح - الأمر الذى استكره المهدي نفسه

ثانياً

كان عدد سكان مدينة الأبيض حاضرة كردفان يربو على الحسين ألفاً أغلبهم من المصريين فلما سقطت المدينة لم يبق من هؤلاء سوى بضعة آلاف حيث قضى الجوع على أغلبهم أثناء الحصار إذ بلغت أسعار الحاجيات

أقصى ما يتصوره العقل فكانت الآفة من لحم الحـمير تباع بمائتى ريال
وأكل الكثيرون بعضهم بعضا فضلا عمن ماتوا أثناء التعذيب للدلالة
على ماخبئوه من أموالهم ، وسبت جميع الفتيات فانتحر بعضهن والكثيرون
من أوليائهن

ثالثا

كان محمد بك خالد زقل ابن عم المهدي وكيلًا ثم مديرا لمديرية
دارة بدارفور — فلما أمره ابن عمه على جميع الأقليم انتقم شر انتقام
من زملائه ومروسيه المصريين ونكل بهم أشد تنكيل لدرجة حملت
ضابطين من زملائه على تفضيل الانتحار السريع على الموت البطيء
الذى كان يلاقيه اخوانهم ومواطنوهم — وحكاية الصاغ حماده افندى
ما تزال مضرب الأمثال فى السودان حتى اليوم فقد ضرب ثلاثة آلاف
سوط فى ثلاثة أيام متوالية بمعدل ألف سوط فى اليوم وكانت تملأ
جروحه بالملح والفلفل امعانا فى تعذيبه كى يدل على أمواله المخبوءة -
ولكنه مات دون أن يفعل مصرا على أن المال ماله وأنه ورثه
عن أبيه وأن المهدي ما كان أخا له حتى ينازعه ترائه

رابعا

ذبح الثوار جميع التجار المصريين فى كل انحاء السودان
مع وكلائهم وعمالهم وذلك لسلب بضائعهم

خامسا

ذبح كافة المصريين الذين كانوا يقيمون بمديرية بربر — ومن

عجب أن محمد الخير زعيم الثوار في تلك المديرية أمر بعدم التعرض للنساء كأن تأيمن وتيتمن دون هتك اعراضهن - وقد شكر له المؤرخون هذا الصنيع باعتبار أن بعض الشر أهون من بعض

سادسا

قتل من سكان الخرطوم في يوم سقوطها ٢٤٠٠٠ رجل وبضع نساء وفي رواية شقير بك ٣٦٠٠٠ (وهذا العدد أقرب إلى الصحة لأنه ذكر من ضمنه الجيش المدافع الذي قدرنا نحن ضحاياه يومئذ بثمانية آلاف فقط) وسبيت ٣٥٠٠٠ فتاة وسيدة من كرائم وعقائل المصريين - ولقد تحدثت إلى الكثيرات من بقاياهن فأسمعنني من أنباء ما ارتكب معهن من الفظائع والمنكرات ما يفري الكبد ويهد العنق

سابعا

كان سكان حامية كسلا بعائلاتهم وأولادهم قبيل حصارها يزدنون على الخمسين ألفا أكثرهم من المصريين فكانت البقية الباقية من الجميع يوم سقوطها ٤٨٠٠ شخص

ثامنا

كانت مدينة سنار أحفل مدن السودان بالمصريين بعد الخرطوم فبلغ عددهم يوم سقوطها ثلاثة آلاف لا غير وهكذا كان الشأن في باقي الجهات

ولقد وقع إلينا الدليل الذى لا ينقض ووقفنا على عظم الكارثة
التي أودت بحياة أولئك الأبرياء وفداحة الخطب الذى ألم بمصر
بفقدانهم وفقد السودان معهم:-

ذكر المرحوم فوزى باشا فى كتابه أن غوردون
عمل احصاء رسميا للمصريين المقيمين بالخرطوم قبيل سقوطها
(وأنا أرجح أن التقدير إنما كان لجميع المصريين المقيمين
بالسودان لا بالخرطوم وحدها) فبلغوا مائتي ألف نفس وارسل تلك
الاحصائية مع بعثة استيوارت فى سبتمبر سنة ١٨٨٤ - فلما سقطت
الخرطوم ومات المهدي أمر التعايشى ذات يوم أن يجتمع المصريون فى
صعيد واحد - وكان يسميهم (فضلة سيف المهدي) فاجتمعوا وبلغ
عددهم يومئذ خمسة آلاف من الرجال

وفى اعتقادي أنه كان للمجاعة المروعة التى حدثت فى عهد
الخليفة (١٨٨٨ - ١٨٨٩) أثر يذكر فى القضاء عليهم فقد
فتكت بمئات الألوف من أهالى السودان أنفسهم ولا ريب أنها كانت
بالمصريين أفك وافدح

ومن هذا يتضح للبلاء أنه ليست هناك أدنى مبالغة فى تقدير
الضحايا بربع مليون - على أننا لو تساهلنا إلى أبعد حدود التساهل
واقترضنا أن هذا العدد يشمل الجيش المقاتل - لكانت النتيجة أن
خسارة مصر ربع مليون مقابل ١٤٠٠ إنكليزي - أستغفر الله - فان
نصف هؤلاء أو أكثر كان من الهنود - فقد كانت جنود حملة الجنرال
جرايم بسواكن كلهم من أولئك الهنود التعساء

وذلك غير من قتل من جيشنا في المدة من أول سنة ١٩٠٠ الى آخر سنة ١٩٣٤ في الفن والقلاقل الداخلية التي أربت على المائة والعشرين في عصر العدالة الانكليزية وبسببها - وكان بعضها حروبا طاحنة لاهركات صغيرة - وما العهد بمذبحة (ود حوبة) بالكاملين على النيل الازرق وموقعة الكتفية المشهورة في سنة ١٩٠٨ ولا بثورة النوبر والانواك في سنة ١٩١٢ بعييد ولعلى أوفق قريبا لاحصاء خسائرتنا وخسائرتهم في هذا العهد اتماما للبحث

رجالنا ورجالهم

ولربما زعم الانكليز - كعادتهم - أنهم يمتازون بفقد خمسة أو ستة من أعلام رجالهم وكبار قوادهم أمثال هكس باشا والكولونيل استيوارت وغوردون باشا ولبتون بك (ولو أن هؤلاء كانوا في الواقع موظفين بالحكومة المصرية) والجنرالين ارل واستيوارت

وردا على هذا أذكر هنا أسماء حوالى مائة شخص من أعلام رجالنا وكبار قوادنا (من رتبة بكباشى فما فوق) غير من لم أعر على أسمائهم ممن استشهدوا اثناء الثورة :-

القائمة						الوقائع
موظف كبير	بكالني	سنجق	قائم مقام	امير الای	لواء	
.....	راشد بك امين	واقعة راشد بك
.....	حسن رفقى افندى	محمد بك عثمان	يوسف باشا الشلالى	واقعة الشلالى
.....	على بك لطفى	واقعة على بك لطفى
.....
محمد بك ليس	محمد القولى افندى	محمد سعيد باشا	سقوط الايض }
فاطر قسم كرمطاش	باشا حماد	على بك شريف	
.....	محمود حسن	
.....	نظيم	

اللقبة						الوقائع
لواء	امير الالى	قائمقام	سجنس	بكباشى	موظف كبير	
محمد علاء الدين باشا حسين مطهر باشا	السيد عبد القادر بك سليم عوفى بك حسين فهمى بك عاس وهى رجب صديق		عبد العزيز بك محى كامل خير الدين	شرف الدين افسدى على الطوبجى محمد فرج محور خليل افندى محمد فهمى المصرى كاظم	المستور جورجى بك كباشى الحمله	واقعة شيكان
						واقع دارفور
						واقعة وطوكى وسواكن

القائمة					
موظف كبير	بكاليف	سجنت	قامقام	امير الاي	لواء
محمد باشا حسن	ابراهيم سوفان افندي	مولى بك	سلطان عبد الله بك		
مأمور المالية	محمود عبد المال افندي	علي	محمد الملك بك		
عصمت بك	محمد عثمان افندي	ميتو	عثمان حشمت		
مدير الخزائنات	احمد حيايه	عبد الهادي	فرج صالح		
ابراهيم بك رشدي	محمد دسوقي	محمد كرمي	السيد امين	يحيى بطراكي بك	محمد علي حنين باشا
سكرتير غورجون	حسين محمد	محمد قرضيه	سرور بهجت	محمد القباني بك	موسى شوقي باشا
قرياقص بك القمص	علي صقر	محمد السنخ	يوسف عفت		فرج الزيني باشا
باشكاتب الخرطوم	سلطان النشار	نصر	حسين القباني		
محمد ابراهيم بك	حسن فواد	بشير خشم الموس	احمد ابو القاسم		
الشيخ محمد حنيك		محمد نهمان	عبد الله العبد		
قاضي القضاة			عبد القادر حسن		
الشيخ شاكرا الرئيس			حسن العقاد		
مفتي السودان					
					وقائع حصار الخرطوم وام درمان وسقوطها

تلکم أساء من ذکروا فی الکتب والوثائق التاريخية ومعظمهم من كبار القواد وأعظم الرجال كما أسلفت. ومن المؤكد أن هناك عشرات من رتبهم لم نذكر أسماؤهم وأسدل علیهم الزمان ستار النسيان وذلكم غیر المئات من صغار الضباط وعظمائهم (من رتبة صاغقول اغاسی فما تحها) فقد فقد من هؤلاء فی وقعی شيكان والتيب نحو الخمسائة ضابط بفضل ارشاد وحسن قيادة الجنرالين هيکس ويکر فلو فرضنا أن جملة من فقد من الضباط العظام - من رتبة صاغ فصاعدا - مائتان فقط لكان مجموع ما فقدته انكلترا بالنسبة لمصر :-

١ ١/٢ فی المائة من الجنود

٣ فی المائة من القواد

صفر فی المائة من الاهالى

وبهذه النسب الحقيرة يرفع الانكليز عقيرتهم مطالبين (بحق الفتح) ولا ريب عندى أن مجرد المقارنة - ان كان تمت الى مقارنة من سيل - يقضى قضاء أبديا على ذلك الادعاء الجرى الذى لم يذكر له التاريخ مثيلا

ضحايانا وضحاياهم من الاموال

أما فيما يتعلق بالاموال فلا سبيل الى المقارنة . فانكنا لم نخسر شيئا في حين أن مصر قد خسرت كل شئ ، - وبهذا يعترف الانكليز أنفسهم - ومع ذلك فلنعالج الموضوع

لا يمكن بطبيعة الحال احصاء ما انفقت مصر من مال في سبيل تعمير السودان ولتدينه من عهد محمد على حتى قيام الثورة المهدية - وانما يستطيع أن يقال اجمالا أنها اقامت جميع المنشآت من مباني نخعة الى معسكرات ومصالح أميرية وجوامع ومدارس (ونذكر هنا أنها لم تضن على السودان با كبر علمائها فبعثت برقاعة بك ناظراً لمدرسة الخرطوم) وساعدت الاهالى على بناء دورهم بالطوب والاخشاب بدل اتخاذها من اللبن والغاب وجلود الحيوان - ومهدت الطرق الصحراوية ونظمت البريد ، وادخلت زراعة القطن ، وأنشأت المطبعة الاميرية ، وفتحت السدود النيلية لتسهيل الملاحة صعدا في أعلى النيل - وفتحت الاصحاق النائية في بحر الغزال ودارفور ومنجلا واوغندا وبلاد زنجبار وكفتها شر النخاسة وفضائح النحاسين ، ومدت أول سكة حديدية عرفها السودان فبلغت تكاليف خمسين ميلا منها ٤٥٠ ألف جنيه دفعتها مصر عن طيب خاطر في عهد أشد ضائقة مالية عرفت ، وأنشأت ترسانة كبرى لصنع البواخر والمراكب وتصليحها وقد بنيت فيها وابورات (بوردين وتل حوين والتوفيقية والمنصورة والفاشر

والاسماعيلية وعباس وشبين والمسلية والحسينية ونيانزا ومحمد على
والزبير والسلطان والخبديوى) وسواها ، وقد غرق منها ماغرق
واستولى الثوار على الباقي

وقصارى القول أن مصر خلقت السودان خلقا جديدا
من جميع النواحي

وقد ثبت ثبوتا قاطعا أن نفقات السودان كانت تربو على
إيراداته طوال عهد الحكم المصرى وأنه كان يحتاج فى أغلب السنين الى مبلغ
ينراوح بين المليون والثلاثة لتغطية العجز - الأمر الذى فكر من أجله
المغفور له سعيد باشا فى ترك السودان لولا نوسل أهله وإلحاحهم -
والذى ساقته انجلترا كأقوى حجة لتخلي مصر عن السودان

فاذا فرضنا أنه كان يحتاج فى المتوسط الى مليون جنيه سنويا
لكانت جملة ما أنفق على تعميره من عهد محمد على حتى قيام الثورة
المهدية أكثر من ستين مليونا من الجنيهات

ولنتظر الآن الى ما خسرت مصر فى ابان الثورة وبعدها :-

(١) خسر جميع المصريين الذين كانوا بالسودان دون
إستثناء كافة أموالهم وأمتعتهم وأملاكهم وعقاراتهم وكان أكثرهم
أغنياء - فلا تقدر خسارتهم بأقل من عشرة ملايين من الجنيهات

(٢) استولى الثوار على جميع الأسلحة والذخائر والخزائن
الأميرية والأموال وكافة ممتلكات الحكومة ومنشآتها فى ثلثى قرن
من الزمان بما لا يقدر ثمنه بما دون العشرين مليونا

(٣) خسرت مصر تجارتها مع السودان زهاء العشرين عاما وكانت صادراته ١١ مليوناً ووارداته نحو ثلث هذا المبلغ - وقدرت الخسارة بمليونى جنيه سنوياً وجعلتها حوالى أربعين مليوناً

(٤) أنفقت مصر ١١ مليون جنيه فى سبيل استرداد السودان

(٥) بلغ مجموع ما أنفق على السودان من سنة ١٨٩٩

إلى الآن كالآتى :-

جنيه
السلف المعطاة من أجل الأعمال المتعلقة بنمو السودان ٥٣٢٣٦٩٦

من سنة ١٨٩٩ لغاية سنة ١٩١٤

الاعانات الممنوحة سنوياً لسد عجز الإيرادات من سنة ٥٣٥٣٢١٥

إلى سنة ١٨٩٩ إلى سنة ١٩١٢

المصروفات العسكرية الخاصة بالسودان من سنة ١٩١٤ ٣٤١٨٨٠٥

لغاية سنة ١٩٢٢

مبلغ ما صرف على السودان فى سنئى ١٥٠٠٠٠٠

١٩٢٣ و ١٩٢٤

مادفع للسودان من سنة ١٩٢٥ إلى سنة ١٩٣٠ ٤٥٠٠٠٠٠

بواقع ٧٥٠ ألف جنيه سنوياً

إلى ٢٠٠٩٥٧١٦

جُملة ما أنفق على السودان لا يمكن أن يقل بحال من الأحوال
عن مائة وخمسين مليوناً من الجنيهات دفعتها مصر من دم أبناءها
مقابل ٧٩٨٨٠٢ جنيها اضطرت انكلترا الى النزول عنها لمصر في فبراير
سنة ١٨٩٦ عند الشروع في حملة دنقلة

فيكون ما خسرت انكلترا بالنسبة لمصر من الأموال هو :

نصف في المائة

وتكون دعوى التعمير والنفقات قد اتفت بهذه المقارنة
الصريحة وتلك الأرقام الناطقة



الادارة المصرية والادارة الانكليزية

(١) وإنا بطلبنا إرجاع السودان
الى مصر نريد ان نجعله شريكا له
مالنا وعليه ماعلينا

(من مذكرة الوفد لمؤتمر الصلح في سنة ١٩١٩)

(٢) لقد كان للمصريين قبيل احتلال
الانكلز السلطة التامة في السودان
ولكنهم أساءوا السياسة والادارة
بدرجة دعت السودان الى
طردهم فقد كانوا دخلاء
ظالمين

(حديث المستر لويد جورج المنشور بالعدد ١٦٤٢٤)

من الاقرام الصادر في ٢٨ اغسطس سنة ١٩٣٠)

يحاول الانكلز أن يلقوا في روع اخواتنا السودانيين أننا
نريد استعبادهم واستعمار بلادهم وهذا امر لم يفكر فيه مصرى على
الاطلاق ولم بدر في خلد أحد يوما ما ولا يجوز بحال من الأحوال
ان يصدقه مواطنونا الاعزاء اللهم الا اذا جاز لأهل الولايات المتحدة
الجنوبية أن يصدقوا أن أهل الولايات الشمالية يتحكمون فيهم ويستغلون
بلادهم أو يظن سكان بافاريا أن قطان بروسيا يتسلطون عليهم

على أنى جازم بأن شيئا من تلك المزاعم والأوهام لا يمكن
ان يجوز على عقول مواطنينا الأذكياء وهم يعلنون من التاريخ

أن مديريات السودان كانت تُرجع في أغلب الاوقات إلى مصر في شؤونها المباشرة دون تدخل الحكمدارية - شأنها في هذا شأن المديريات المصرية - وأكثر ما حصل هذا في عصرى سعيد واسماعيل ولم يطل العمل به الا عندما تولى الحكمدارية غوردون وبناء على الحاحه تمهيداً لما حدث بعد ذلك من المصائب

أنا لا أستطيع أن أنكر أنه قد حدثت بعض المظالم في السودان في العهد البائد - ولكن هذا العهد كان شؤماً علينا وعلى اخواننا سواء بسواء - فقد كان حكامنا وحكامهم (أعنى المديريين ورجال الادارة) من ظلام الابراك يسوموننا جميعاً سوء العذاب - وفي الوقت الذى كان يستعمل فيه (عقاب الهرة) في الجنوب كانت (الفلقة والكرباج) هى العقوبة السائدة بالشمال - وكانت سبة (عبد) بالسودان تقابلها سبة (فلاح) في مصر - ولم يكد السودان يعرف حكامداً مصرياً صميماً من عهد محمد على فلا يمكن والحالة هذه أن تؤاخذ مصر بجزيرة الماضى أيا كان نوع المظالم التى حدثت فيه لأنها بريئة منها ولا يد لها فيها

ومع هذا لو أننا قارنا بين العهدين المصرى والانكليزى لكانت النتيجة في جانب مصر دون انكارا فقد كان للسودان في عهد الظلم (المصرى) مجلس شورى ينعقد في كل عام للنظر في شؤونه وكان أعضاؤه من خاصة أهله - يقابله اليوم مجلس الحاكم العام وأعضاؤه جميعاً من الانكليز ، وكانت المظالم التى تحدث هناك لاتصل الى مسامع مصر ولو اتصلت بها مأسكتت عنها بدليل أن محمد على ذهب بنفسه

الى السودان لرأب ماصدعه الدفندار ولم يدع سيلا
لارضاء أهله إلا سلكه

ولما شك الناس فداحة الضرائب لسعيد باشا رفع
اكثرها وأمر بتخفيض الباقي ، وبلغ من فرط حله ورحته
أن أصدر عفوا شاملا عن خلفاء الملك نمر قاتل الأمير
الشهيد اسماعيل

وبمجرد انهم ممتاز باشا وهو الحكمدار العام بالظلم
والرشوة أمرت مصر بسجنه بسجن الخرطوم والتحقيق معه
فيما نسب اليه ولم يشفع له سمو مركزه أو يحل دون ذلك .
ولولا ان عاجله الموت في سجنه لحوكم وحكم عليه
جزاء وفاقا

ولقد كان في البرلمان المصرى الأول عشرون نائبا
عن السودان مما يؤيد تأييدا قاطعا شعور مصر من قديم
بوحدة البلدان

والسودان منذ نولى الانكليز إدارته لم يعرف من
أبنائه مديرا ولا وكلا ولا مفتشا ولا ضابطا عظيما ولا
موظفا كبيرا

أما في عهد الظلم (المصرى) فكان :-

الزبير باشا و سليمان بك الزبير و ادريس بك ابتر
و يوسف باشا الشلالى مديريه على التوالى لبحر الغزال

ثم كان :- الشلالى باشا وبعده بساطى بك مديرين لسنار
والياس باشا ام بربر مديراً لكردقان
وحسين باشا خليفة مديراً لبربر
والطيب بك عبد الله مديراً لفاشودة
ومحمد بك خالد زقل مديراً لدارة
والنور بك عنقره مديراً لكبكبيه
والسعيد بك حسين وآدم بك عامر مديرين بمديريات دارفور
واحمد باشا أبو سن ومحمود بك احمدانى واحمد بك جلاب
مديرين بالتعاقب للخرطوم
وكان :- محمد بك الجزولى وكيلاً لمديرية الخرطوم
واحمد بك مكوار وكيلاً لمديرية سنار
وعمر بك العمرانى وكيلاً لمديرية بربر
وكان :- على بك عمارة أبو سن مديراً للجبارك
ومحمد بك التلب رئيساً لمجلس الاستئناف
ومحمد بك خوجلى قاضياً للخرطوم
وعثمان بك حاج حامد قاضياً لخط الاستواء
والفكى (الفقيه) الشيخ الامين الضرير شيخاً للاسلام
والبكوات . أبو بكر الجرkok والخليفة ود أرباب ومحمد

عبد الرحمن ود البشير وادريس النور وعبد الرحمن بان النقا
والفضل ابراهيم وغيرهم أعضاء بمجلس الاستئناف
وكان :- بساطى بك المحمى باشكاتباً لمديرية الخرطوم
والعوضى بك المرضى باشكاتباً لمديرية كسلا
وحسن افندى الشريف معاوناً لمديرية بربر
ومحمد افندى النصرى معاوناً لمديرية بحر الغزال ... الخ

وكان من بين القواد العظام :-

الماظ باشا . وآدم باشا . وفرج الله باشا . وفرج الزينى باشا
ويوسف الشلالى باشا . وصالح باشا الملك . والسعيد حسين باشا
وحسن ابراهيم باشا . ومحمد على حسين باشا . وخشم الموس باشا
والنور بك محمد . وسرور بك بهجت . وبخت بك بطراكى
ومحمد بك السيد . وسليم بك مطر . والنور بك عنقرة . وفرج الله
عزازى . وعشرات سواهم

وكان جميع عمد القبائل ونظار الاقسام وخاصة أهل البلاد
وكبار الموظفين المدنيين يحملون الرتب والنياشين أسوة بالمصريين
بل ربما زاد عدد حاملها من الأهلين على عددهم من أعيان
الفلاحين المصريين واذكر منهم على سبيل المثال :-

بشير بك ود عقيد عميد الجعليين . وعبد القادر باشا
ود الزين شيخ مشايخ الخرطوم وسنار وأول معاون سودانى للحكمدارية

وادريس بك ود عدلان زعيم الفونج ، واحد بك ابو جن عمدة
قبيلة الحدة، وعلى بك البخيت ناظر بنى عامر، وعبد القادر بك
ايله عمدة الخلائقه ، ومحمد بك موسى زعيم الهدندوة ، واحد بك
دفع الله عين اعيان كردفان ، ومحمد بك يس ناظر قسم كردفان
واحد باشا ابوسن عمدة الشكرية وابنه عوض الكرم باشا وحفيده
على بك ، وكيكوم بك ملك الشلوك ، وعلى بك سالم عمدة الكبايش
وحسن بك ام كادوك عمدة البرنو ، وصالح بك شقة ناظر
القلابات، ومحمود بك زايد عمدة الضباينة ، وبشارى بك ود بكير
عمدة بنى هلبة ، والارباب بك ود دفع الله ، وعلى بك الخير ، وابراهيم
بك البردنى ، ومحمد باشا زيد ، ومحمد بك البلالى ، وقساوى
بك ابو عمورى ، وصالح بك خليفه ، ومحمد باشا امام الشهير
بالخير وغيرهم ممن يعدون بالمئات

وكان لهؤلاء وامثالهم من العمد والنظار والزعماء ومن
أسلفت من كبار الضباط والموظفين القول الفصل فى شؤون
بلادهم - بل كان من الضباط والجنود السودانيين من اشرك
اشتراكا فليما فى الثورة العراقية لان مصر لم تكن تفرق بين
المصرى والسودانى ولا بين الابيض والاسود من ابناءها

فلما ان لعبت أصبع الانكليز فى إدارة البلاد وآلت ولاية الحكم
إلى غوردون للرة الاولى فى عصر اسماعيل - بناء على رجاء ولى عهد
انكلترا ووساطته - أخصى المصريين والسودانيين عن الوظائف الكبرى
وكف أيديهم عن ادارته ونصب بدلهم من الاجانب :-

جسى باشا، وجيكر باشا، والدكتور شينزر (امين شابا)
وفردريك روسى، وسلاطين باشا، ولبتون بك، ووراليا بك، ومسجر باشا
وتشرمسيد باشا، ومارنوا بك، ودى كوتلجن وكوسنى بك
وميسون بك، ومليانو بك، ومركوبولى بك، والدكتور زور
بخين بك، ومسديله بك، وامليانى دانزجر، وبرجوف بك
وجوتقرث روث، وجوست جويزى، وسوام

واتخذ منهم مديرين ومحافظين ووكلاء واطباء ومفتشين
وكتبة ومعاونين - وهم مابين انجليزى وايطالى ونمساوى
والمائى ورومى وما لا عرف ايضا

فاختلت ادارة السودان وكان لابد من اختلال العالم كله
لو قبضت على أزمة الحكم فيه عصبة امم من الخليط الذى ذكرت فما
بالك والسوان لا يعرف هؤلاء ولا هم يعرفونه !!!

واذا كان السودانيون قد نعموا من سعيد باشا تعيين
أراكيل بك حاكما عليهم - وهو شرقى مثلهم - ولولا حكمة اراكيل
وحسن تصرفه لقامت الثورة - فكيف لا يثورون وقد اصبح
الحكام بأجمعهم من الأجانب الذين لا يفقهون لغة البلاد ولا يفهمون
دينها ولا يعقلون شيئا من عاداتها وأخلاق أهلها
فهؤلاء هم أهم أسباب الثورة وفى أعناقهم ضحاياها
وعلى رؤوسهم تنصب دماء شهدائها من الجانبين
المصرى والسودانى

عهد الثورات والثورة المهدية

كان السودان وديعا هادئا لا يكاد أحد من سكانه يتوهم الخروج على أولى الأمر أو تحدته نفسه بالجنوح إلى الثورة . فاعتم أن حل به (لورنس القرن التاسع عشر) وأعنى به غوردون . باسم القضاء على تجارة الرقيق حتى قام ينكل بالجلابة وآلمهم وذوهم وطفق يقضى عليهم بالاعدام ويصادر أموالهم ويستصفى أملاكهم ويأخذهم أخذ عزيز مقتدر . البرى منهم بجريرة المذهب . فى الوقت الذى كان يعلم فيه حق العلم أن أبناء جلدته بالمستعمرات الانكليزية يأخذون أمثال هؤلاء بالهوادة واللين متوخين فى ذلك كل ما أوتوا من دراية وخبرة بطبائع الأمم . فكان هذا العمل من جانبه هو ومن عددت من أعوانه أول ما أثار علينا نائرة السودانين إذ أيقنوا أن مصر قد آثرت أن تستعين بأولئك الأجانب (الكفار) للانتقام منهم والعبث بدينهم . وقد قيل ان هذا كان من الأسباب الرئيسية التى دعت (عثمان دقة) أخطر ثوار السودان وأشد أنصار المهدي وأعظم قواد المهدي إلى الاندماج فى الثورة والقيام بنصرها بكل ما أوتى من جلد وشجاعة ودهاء . لأن مفتشا من عمال غوردون صادر أمواله ظلما وعدوانا وكانت تبلغ زهاء العشرة آلاف جنيه لمجرد الاشتباه فى اشتغاله بتجارة الرقيق . فأحفظه ذلك على الحكومة وما برح يلربص بها الدوائر حتى قام المهدي فنصره بكل قواه

وانتهز جماعة المونورين والأشقياء تلك الفرصة وقاموا بالثورة
تلو الثورة فقام سليمان الزبير في بحر الغزال وخلفه رايح . وثار أهل
دارفور بزعماء أميرهم هرون الرشيد . كما ثار أهل كردفان برئاسة
الصباحي . ولم يكتف لورنس القرن التاسع عشر بأذكاء نار كل تلك
الثورات . بل قام يناوىء الأحباش ويستثيرهم للخلاف مع مصر
ففشلت دساتره ودارت عليه الدائرة ولم يجد بدا من الاستقالة ورجع
إلى قومه ملوما محسورا . وأبت الأقدار إلا أن تجعله وقودا للنار التي
أشعلها إذ عاد إلى السودان لاجلاء المصريين عنه فلقى حتفه فيه
وانتهز المهدي بدوره تلك الفرصة النادرة وقام يدعو قومه
للتخلص من تلك الإدارة العجيبة ولم يجد بدا من الترس بالدين
ليقينه بأنه الورع الحساس في البلاد

تطور الشعور تطورا غريبا . فبعد أن كان المثل
المحبوب لدى عامة أهل السودان (الزكك لبسونا القميص
وعلبونا الحديث) صاروا يتنافسون في إيراد الأمثال الدالة على
الحفيظة والنقمة من المصريين والتحرق لقتالهم

فينا ترى فريقا يقول (هواى هواى أسير للمهدي
في قدير) إذا بك نرى الثاني ينشد (بشاير الخير جات لنا —
واليوم ظهر مهدينا) بينما الثالث يقسم (وحاة قولى صواب
— خنق قيركم غاب) فيردد الرابع (ألف في تربة ولا قرش
خردة في طلبة) ويترنم الخامس بقوله (ود الريف شين
جابه حربه وكوكاب في جبابه) ... الخ

استعرت نيران الثورة إذن . وكانت ولاية الحكم قد آلت بعد استقالة غوردون إلى رجل هو أضعف الناس طراً لا الولاية فقط . ذلكم هو رؤوف باشا الذى وصفته الجمعية الوطنية المصرية السودانية بالخرطوم اليق وصف وأصدقه إذ وجهت اليه منشوراً عنوانه : (كنا نحسبك رؤوفاً فرأيناك خروفاً) والحق أنه كان فى ضعف النعاج

ذهبت طائفة من المؤرخين إلى أنه بعد ما أخطأ الخطيئة الأولى التي ترتب عليها اشتعال الثورة وبلوغها أشدها . وهى إرساله فصيلتين (بلوكين) من الجنود النظامية تحت إمرة ضابطين إلى جزيرة آبا وإساراه إلى كل منهما بأنه قائد الحملة وتفهم أبى السعود العقاد بك معاون الحكمدارية فى نفس الوقت أنه القائد الأعلى لكليهما . الأمر الذى دعا إلى تنازع الرئاسة فال فشل فذهاب الريح وتسبب عن ذلك أول هزيمة منى بها الجيش المصرى فى تاريخه المشرف بالسودان . كما نجم عنه علو كلمة المهدي وارتفاع شأنه وبعد صيته على أثر تلك النكبة عقد مجلساً استشارياً من خاصة أهل الخرطوم وذوى رأى فيها فقال له الشيخ شاكر الرئيس مفتى السودان بومئذ (بحسن بمولاي الحكمدار أن يتولى القيادة بنفسه ليستأصل الشر من جذوره ويقضى على الثورة فى مهدها قبل أن تستفحل) فرد عليه قائلاً (خستت أهما الشيخ أتريد أن نرمل زوجى وتيسم أطفالى) !!!

هذا هو الحاكم الشجاع والقائد الباسل الذى لم يؤثر عنه طوال حياته الا ثروته للمجلس العسكرى العالى الذى انعقد لحاكمه عرابى باشا والحكم عليه بالاعدام

فلما توالى الهزائم شعر العرايون بمخطورة الثورة وعلوا بما كان من جبن رؤوف وسوء تصرفه فبعثوا بخير القواد إلى هناك رغم المخنة التى كانوا يحتازونها فى ذلك الوقت - وذهب البطل عبد القادر باشا حلي فقبض على ناصية الحال وأمن الخراطوم والجزيرة بعد ما أوشكتنا على السقوط وسهّد المهدي واقضى مضجعه ونكل بانصاره الواحد اثر الآخر حتى جعله يتوسل الى المولى فى كل صلاة بقوله : (اللهم يا قوى يا قادر اكفنا عبد القادر) وبعث القائد المجاهد فى طلب خمسة عشر ألفا من الجنود المصرية ليضرب بهم المهدي الضربة القاضية وبديل دولته بالسودان وكان الامر قد آل إلى الانكباب - فأبى عليه السياسة الانكليزية ذلك ولم تكف برفض طلبه بل اهمته لدى الخديوى توفيق وحكومته الضعيفة بالجنوح إلى الاستقلال - فأقصى عن وظيفته وولى علاء الدين باشا مكانه وارسلت إليه ١٢/٩٠٠ جندى من فلول جيش عرابى ليوردها هكس موارد البوار والدمار - وابى هكس الا أن تكون له القيادة أو يستقيل فزلت مصر المهيضة على ادارته وأقرت جعله قائدا أول وغلاء الدين قائدا ثانيا وضربت بنصائح عبد القادر باشا البطل المجرب عرض الأفق فكانت النتيجة المعروفة التى تنشق لها مرارة كل ذى قلب

ورأت السياسة الاستعمارية ان تتم النكبة فاستقدمت غوردون وبعثت به الى الخرطوم لاجلاء المصريين الباقين بالسودان ظاهرا ولافتائهم والقضاء عليهم في الواقع

ولاقى المصريون عسكريين ومدنيين الامرين على يديه طول مدة الحصار - ومن الغريب أنه في الوقت الذي كان الموت يختطف منهم بالالوف - وفي الوقت الذي قبلوا فيه عن طيب خاطر أن تكون جراية الجندى المصرى مائة درهم من الذرة في حين أن زميله من السودانين والانراك والمغاربة كانت جراته مائة وخمسين وفي الوقت الذي نفذت فيه المؤونة وقنعوا بأكل الصمغ والجار والجيف والجلود . بينما وجد لدى قائدهم الذى قيل عنه كذبا انه شارك أبأس جنوده شظف العيش ومرارة الجوع . في يوم قتله (طبق به بيض مقل بالسمن وبجانبه علبه من اللحوم في وسطها شوكة وقطعة من السكر في طبق آخر) والذى قال فوزى باشا إنه كان يجد له في كل يومين أو ثلاثة دجاجة هزيلة أو زوجا من الحمام الطاعن في السن أقول من الغريب أنه في هذا الوقت . وبالرغم من الطاعة العمياء والصبر الجليل والقناعة المدهشة . صفات الجندى المصرى من قديم الزمان . كتب القائد الشريف الوفى المخلص إلى اللورد ولسلى قائد حملة انقاده في ٤ نوفمبر سنة ١٨٨٤ كتابا يقول فيه (لاتدعوا العساكر المصرية تأتى إلى هنا . تسلبوا قيادة الواورات منهم وأخرجوهم منها فإنه لافائدة فيهم) وهو يقصد بهذا جنود بعثة

نصحى باشا الذى نجح حيث فشل استيوارت الانكليزى

ولكن الحملة . لأمرا ما . لم تنقذه فمات ومات معه أولئك
الجنود البواسل (الذين لافائدة فيهم) بعد ما دافعوا عنه وعن
الخرطوم أعظم دفاع ولم ينج منهم الا طويل العمر طويل أيام
البؤس والشقاء والويل والضراء

سقطت الخرطوم وبسقوطها سقط السودان كله . بقطع
النظر عن حامى كسلا وسنار . فاطمأنت السياسة الانكليزية
وراحت تبيت الغدر من جديد للمضى فى تديراتها

وحدث ما حدث بعد ذلك مما هو معروف ومشهور —
وأعيد فتح السودان بجنود مصرية وأموال مصرية ثم كانت اتفاقية
سنة ١٨٩٩ المشؤومة فإذا تم بالسودان من يومها الى الآن لم يكن
بمال مصر وأيدى المصريين — ٩٩٩

إدارة السودان

من سنة ١٨٩٩ الى سنة ١٩٢٤

أنفقت مصر ٣/٥٠٠/٠٠٠ جنيه لمسك السكك الحديدية .
تلك السكك التي قال عنها أحد الضباط الذين عملوا في انشائها إنه
توجد تحت كل شبر منها جثة جندي مصرى . وبلغ مجموع ما أنفق
في سبيل استعادة السودان ١١ مليوناً من الجنيهات وبلغت تكاليف
ميناء بور سودان مليوناً

وقامت مصلحة واحدة . هي مصلحة الاشغال العسكرية .
بعمل المنشآت التالية في مدينة الخرطوم وحدها في ربع قرن من
الزمان (حديث صاحب السعادة اللواء محمد لبيب الشاهد باشا المنشور
بالعدد ٨٣ من الدنيا المصورة الصادرة بتاريخ ٢٧ يولييه سنة ١٩٣٠) :-
سراى الحاكم العام . دواوين المالية والحرية والحقانية
والداخلية والزراعة والبريد والتلغراف . ومساكن لكبار موظفيها
(وكلهم من الانكليز) . مكاتب تسجيل الاراضى . مخازن
مصلحة الصحة . المطبعة الأميرية . قشلاقات سعيد واسماعيل ونوفيق
وعباس بضواحي الخرطوم . ثلاثة قشلاقات كبرى بالخرطوم بحرى
الطوبجية . خمسة قشلاقات للانكليز . مساكن لضباطهم . مخازن
الأسلحة والمهمات والجبنانة والبارود . طاية الدفاع الكبرى . مخازن
المهمات والورش . قشلاق قسم الاشغال العسكرية . ورش ومخازن
قسم الاشغال الملكية . السجن العمومى . كلية غوردون . جامع

الخرطوم . مساكن لصف الضباط الانكليز . مخازن تعيينات الجيش
المصرى . مخازن وورش مصلحة وابورات النيل والمراكب . رصيف
أمام مدينة الخرطوم . مستشفى الجيش . مديرية الخرطوم . مساكن
لكبار موظفيها . إدارة المصلحة البيطرية ومستشفاهها . قشلاقات
اليادة بأم درمان . قشلاق اليادة الراكبة

ذلك ماتم في الخرطوم وحدها . فما بالك بما أنشئ في جميع
الأنحاء الأخرى وعلى الأخص بحلفا وأبي حمد والعبارة وشندى
وخورشبات وود مدنى وكسلا والقضارف وسواكن وبور سودان
والأبيض والنهود وبارا والدنج وتالودى والدويم والتوفيقية والسوبات
والبيبور وبلاد دارفور وبحر الغزال ومنجلا ؟

لقد كان للضباط والموظفين الانكليز في كل جهة من هذه
أحياء مستقلة قائمة بذاتها في أجمل البقاع ملائى بالدور والقصور
محفوفة بالحدايق النظرة دونها قصور الزمالك (وقللات) المعادى

وبينما يرباط الجنود البريطانىون بالخرطوم وبعض الحواضر
ويستمتعون بسكنى أجمل الأحياء وأرقى المنازل ولهم اطيب العيش
وأسعد الحياة حين يريحون وحين يسرحون . كان جنود أورطة
السكة الحديدية وهى أكبر أورط الجيش المصرى يقاسون شظف
العيش ومر الحياة فى السهر على صيانة تلك السكك وتعهدها بالاصلاح
كلما دمرتها السيول ، أو جرفتها الرياح أو غمرتها الرمال متحملين
فى ذلك كل أعباء العمل المضنى الشاق فى حمارة القيظ وزمهرير

البرد بين عصف الزوابع وقصف الرعود وويلات (الهوب)
وكان إخوانهم من جنود باقى الأورط يقومون فى الحين
بعد الحين باخماد الحركات الثورية الداخلية التى زادت على المائة
والعشرين حتى ابعاد الجيش المصرى عن السودان . وكان عليها
الغرم دائما . وللادارة الانكليزية (حكومة السودان) الغنم على
كل حال

أما عن السياسة الانكليزية فى إدارة السودان فحدث ولا
حرج عن طرائق الاستعمار وسبل الاستغلال وضروب الخديعة
والختيال . وحسبك أن تطلع فيما يلى على بضع فقرات من كتب
بعثت بها إلى صديق لى فى سنتى ١٩٢٣ و ١٩٢٤ طلب إلى أن
أعرفه عن الحالة فى السودان وكيفية إدارته :-

١ - من كتاب

قد تظن أن معلوماتى محدودة لأنى لأجوب أنحاء
السودان فلا أستطيع أن أطرفك بوصف القليل من مختلف المناظر
والأصقاع ولا الكثير من العوائد والطباع . وهذا صحيح من هذه
الوجهة فقط ، أما من وجهة آثار السياسة الانكليزية فى البلاد
ومبول أهلها وذلك ما يهيك وهم مصر والمصريين . فانى أستطيع
أن أحدثك عن البلاد من أقصاها إلى أقصاها اعتمادا على أن
الأبيض التى أقم بها ليست ثالثة مدائن السودان بعد الخرطوم
وأم درمان فحسب . بل على كونها الحد الفاصل بين المدنية والهمجية

وجماع مختلف القبائل العربية والزنجية وطريق القوافل الزاهية والآية من دارفور وجمال النوبة وبحر الغزال . وحاضرة أكبر المديريات عمرانا وأعظمها شأنا . والعاصمة الأولى للبهدي في أنصر أيامها وأزهر أوقاتها . وفوق ذلك . وأأسفاه . أوسع مقبرة ضمت رفات أولئك الأبطال الشهداء الذين رووا رمال صحراوات كردفان بدمائهم الزكية تفانيا في الدفاع عن علم مصرنا المحبوبة الذي طوى هناك لآخر مرة في موقعة شيكان على بعد مرحلتين من هنا في مأساة هكس المشهورة . ولربما أحدثك عنها قريبا فقد وعدنى أحد الأعيان بأن يريني بقايا عظام قومي الشئى لم يعن أحد بدفنها حتى يومنا هذا

فأنت ترى هنا . فى أسواق الأبيض . من الأعراب البقارى والجلعى والشايق والجميعاى والجوامعى والزيقاى إلى جانب إخوانهم من عبيد النوبة وبحر الغزال والجهات الاستوائية وأشباههم من الفلاتة والتكارنة والفوراويين (آل دارفور) والبرقاويين وسواهم من الأحباش والمولدين . ونرى الجميع على اختلاف أجناسهم وتعدد صفاتهم وتبلبل ألسنتهم والأعراب منهم على الأخص . وهم العنصر السائد بكردفان . يتدفقون من كل الآفاق على الأبيض فى زمن الحريف لتصريف بضاعتهم من الدواجن والألبان وما إليها واتباع حاجاتهم من الشاى والسكر أولا وقبل كل شئ فالملابس ونحوها من ضروريات الحياة . وهم فى أثناء ذلك يختلطون بنا معشر المصريين لبيع تجارتهم

ولا مندوحة لشلى من وقفوا أنفسهم على خدمة الوطن
وانتهز كل فرصة لرفع شأنه ومحاولة إيصال النفع اليه بكل الطرق
الممكنة من الاحتكاك بكل هؤلاء والتفاهم معهم للوقوف على آرائهم
وتعرف سرائرهم . ومع أنك تستطيع أن تقنع نفسك بأنه من أيسر
الأمور لديك أن تستطلع أخص خصائص نفسية اعرابي ساذج من
هؤلاء بقدر من الشأى وقطعة من السكر فانك متى دخلت معه
في صميم الموضوع وأدرك بعض غرضك بذكائه الفطرى ألفيته
براوغك ويستعمل معك كل ما أوتى من ضروب المكر والدهاء
ووجدت نفسك أمام مشكلة عويصة الحل وأنت ما برحت بعلمك
ومدنييتك أعجز من أن تقف على سريرة بقاري أبه

إي وربى يا صديق هذا هو الواقع ، فبشئ من الاكرام
البسيط الذى ماتجاوز قدحا من الشأى وبعض الهشاشة استطعت
من أسابيع أن ابتاع من أعرابي عشرين دجاجة بخمسة عشر قرشاً
وكان قد قبل اثني عشر فقط وأصبحت لديه من أحب عملائه .
ومنذ أيام قليلة أبى كل الاباء أن يذكر لى شيئاً من تاريخه فى
جيش المهديّة وحقيقة عواطف قبيلته نحو المصريين مع وعدى إياه
بإعطائه أقة من السكر ورطلا من الشأى إلا إذا أقسمت له
على القرآن الكريم بأننى آمن بمهديهم إيماناً حقيقياً

لهذا لا يعلم إلا الله وحده كم ألاقى فى سبيلى من المشقة
والخجل بل من الهزم والسخرية ، ولكن كل شئ يحتمل
فى سبيل مصر

٢ - من كتاب ثان

يوسفني أن أصارحك بأني أشعر هنا بمرارة الغربة وألم
الاغتراب . وسيدهشك هذا القول مني وسوف تقول يا أسفا على
من يرى من حق مصر أن تسترجع أوغندا فوق زيلع وهرر
وبربرة ومصوع . ولكن دهشتك ستنزول حتما إن أنت علمت
أننا لانقيم في السودان المصرى بل في مستعمرة انكليزية أظهر
ظواهرها صلف الحاكمين ونفور المحكومين لا من هؤلاء وإنما
منا نحن المصريين

ولقد حاولت أن أقف على سر هذا الشعور الغريب فقهمت
أن منشأ الاعتقاد . الخاطيء . أو الصحيح . بأننا أداة لتسكين المستعمرين
من رقاب المستعمرين . وآية ذلك عندهم أنه كلما همّ السودانيون
بخلق نير الانكليز أصلتهم النيران أيد مصرية ورؤوس انكليزية .
وقد حدث هذا أكثر من مائة وعشرين مرة في بحر الخمسة
والعشرين عاما الفائتة

سألت منذ بضعة أيام سودانيا نابها من الأعيان اعتدت
أن أحييه في طريقى إلى عملى كلما رأيته جالسا مع ضيفانه أمام
داره ولاحظت أنه يتفرد أحيانا بالرد على تحيتى دون جلسائه .
في حين أن بعضهم ينظر إلى بالنظر الشذر وأكاد أتبين الجفوة
والبغضاء في عينيه فأكاد بدورى اتميز من الغيظ . قلت (أما يعرف
جلساؤك قول الله تعالى — وإذا حييتم بتحية — الآية) ؟

قال يعرفونها كما يعرفون أنفسهم . قلت فما بالهم لا يردون تحيى وإن ردها البعض فبقتور وجفاء

قال . أما الذين لا يردون فيعتقدون أنك (كافر) كقومك لأن العامة يفهمون أن جميع الترك وأولاد الريف كفار لأنهم استنصروا بالگردون وأهله في حكمهم . وأما الذين يردون فقد رآك بعضهم تصلى في الجامع فلم أنك مسلم وسمع من ناهي قومنا من أصدقائى وأصدقائك ثناء عليك . والحق أننا جميعا نعتقد أنكم أصل بلائنا وسبب شقائنا . فلو كفيتمونا جندكم لاستطعنا أن نجلى هؤلاء الكفرة . ويعنى الانكليز . عن بلادنا ضربا بالعصى والسياط . وفوق هذا فإن الاغلبية تعتقد انكم لا تحيونا إلا رغبا أو رهبا كما يلقى الفئات إلى الكلاب الضالة إما تقربا اليها أو خوفا منها . فأنتم تحتقرونا ونحن نحتويكم

٣- من كتاب ثالث

أستأثر الانكليز بجميع الوظائف العسكرية والادارية الكبرى ولم يتركوا للمصريين ولا للسودانيين شيئا يذكر . فهناك قواد الجيش والحاكم العام وأركان حربه وكل أياذه وألسته وجميع حاشيته وبطاته . وهنا لك السكرتير المالى والسكرتير القضائى ومدير المخابرات ومديرو جميع الادارات ورؤساء كافة المصالح ومديرو سائر المديریات ووكلاؤهم . كل هؤلاء من الانكليز

وفوق ذلك فان لكل مركز مفتشا ولبعضها اثنين أو أكثر

منهم أيضا وإلى جانب هؤلاء وكيل مفتش ومأمور ونائب مأمور
مصريون في بعض المديريات ولا فيها كلها

أما وظيفة وكيل مفتش التي يشغلها في القليل ضابط مصري
برتبة بكباشي فلا أدرى ماهيتها إلى الآن وكل ما استطعت أن أعرفه
عن عمل أحدهم أنه كان يقوم بتوزيع السكر على التجار

ولتعلم أن السكر والغاز وبعض المواد الهامة الأخرى
تحتكرها الحكومة والسعر الحالي (في سنة ١٩٣٣) ثلاثة عشر
قرشا صحيحا لآلة السكر واثنان وأربعون لصفحة الغاز

وقد اتصل بي أن هؤلاء الوكلاء سلطنة قاض من
الدرجة الثانية (الفصل في القضايا العديمة الأهمية والغرامة إلى
خمسة جنيهات)

وليس بي من حاجة إلى القول بأن أحكامهم يضرب بها
عرض الحائط متى رأت السياسة الانكليزية حاجة إلى ذلك
وأذكر والشئ بالشئ بذكر. أن قائم مقام مصر بمعروفا
هو الآن برتبة لواء كان إلى سنة ١٩٢١ يعمل كوكيل مفتش تحت
رئاسة مفتش انكليزي برتبة بكباشي فلما ترقى المصري إلى رتبة
اميرالاي ترقى رئيسه إلى رتبة قائممقام ولما ترقى الوكيل إلى رتبة
لواء أصبحت المسألة مكشوفة ومنتقدة فأوجدوا لها حلا بديعا
وذلك بجعل وظيفة المفتش ملكية

أما وظيفة المأمور فأشبهه شيء بوظيفة معاون الإدارة عندنا

أى محقق إدارى . إلا أن مأمورينا هنا يضرب بتحقيقاتهم عرض الحائط أيضا متى رأت السياسة الانكليزية لزوما لذلك

وقد رؤى أخيرا تنصيب مأمورين ووكلاء من السودانيين . وهى سياسة ظاهرها العدل وباطنها الخبث . معناها السطحي احلال الوطنيين محل (الأجانب) وحقيقتها خلق النفور بين المصريين والسودانيين . فهم لا يضعون فى هذه المناصب أبناء الأسر والقبائل العربية المعروفة وإنما ينصبون الزوج وأشباه الزوج ممن لم يتألوا أى قسط من التعليم والتدريب لأن معظمهم من خدم وحشم كبار الموظفين الانكليز . ولا ريب أن عقلية هؤلاء لا يمكن أن تنفق هى وعقلية الضباط المصريين فيحصل الخلاف والشقاق ويعقبها التحاكم إلى المفتش أو المدير الانكليزى ويتشيع هذا أو ذاك للسودانى دائما . فيورث تشييعه الضغينة والحقد فى نفس المتحاكمين . وهكذا قدر فى برنامج السياسة البريطانية أن يعضنا من السودانيين الحاكم والمحكوم

ونفس سياسة وضع المأمورين من المصريين ذات معان . فالمأمور ومساعدوه منوط بهم تحصيل العشور ، وفى هذا الوقت يمنحون أوسع السلطات فيضربون ويحبدون ويعذبون ويسجنون ويطرقون كل السبل لتأديبة واجبههم فيضج الأهالى بالشكوى للمفتشين والمديرين ويتنصل هؤلاء من التبعة . وقد يوبخ المشكو فى حقه علنا من نفس أمره باتخاذ هاته الاجراءات القاسية . ويعفى المتأخرون ويطلق سراح المسجونين ويستعطف المعذبون والمهانون ويسر الهيم

أن هكذا يحكم المصريون . فيدعون للانجليز بالخير وويل للمصريين
وبما يؤسف له أشد الأسف أن أغلبية المأمورين المصريين
تتحمل هذه التبعات الشائنة راضية صاغرة وما سمعت أن أحدا منهم
أخذته العزة الوطنية والحمية المصرية فوق موقف الآباء والشمم وأظهر
بعض ما تقتضى به الشهامة العسكرية اللهم إلا الضابط الوطنى العامل
اليوزباشى (صاغ الآن) على افندى موسى مذ كان نائبا للمأمور
الايض وآخرون لا يكادون يعرفون لأنهم أنصاف شجعان

٤ - من كتاب رابع

أتريد أن أدلك على شر بما ذكرته لك فى كتبى السابقة ؟ ؟ ؟
إذن أقسم لك أن أصدق ما يوصف به السودان انه بلاد
الانقسام . بلاد الشقاق والنفاق . كما سمي العراق قديماً الامام
على كرم الله وجهه

فهناك انقسام فى صفوف الضباط وانقسام فى صفوف الموظفين
وانقسام فى صفوف الأهالى وانقسام فى صفوف القبائل وانقسام
فى صفوف العشائر وانقسام فى كل شئ وانقسام فى كل زمان
وانقسام فى كل مكان

فالشقاق سائد بين الضباط المصريين والضباط السودانيين
ومستحکم بين سائر الضباط والموظفين المدنيين

وهناك شقاق بين الموظفين أنفسهم . فلا تكاد ترى كاتباً يتفق

مع مترجم . وهناك شقاق آخر بين موظفى الحكومة المصرية وموظفى حكومة السودان وشقاق أكبر بين العرب والزنج ، وشقاق عام بين كل قبيلة وأخها - فسياسة (فرق تسد) ظاهرة للعيان

وهذا هو السر فى أن كلمة انكلترا هى العليا وكلتنا هى السفلى . وحق والله للانجليز أن يترنموا دائما بنشيدهم القومى (احكمى يا بريطانيا)

هـ - من كتاب خامس

سمعت طرفا من أنواع العدالة الانكليزية فى إدارة السودان ليس لانكلترا بعدها أن تعيرنا بالظلم :-

(١) أتعرف النخبة التى فرضها اعدل مستعمرى العالم على عبيد النوبة الذين اشتهروا بشدة البأس وقوة المراس ؟

يجب على النوبى من رأى رجلا من رجال الحكومة أن يقف فى الحال ويهرى سلاحه على الأرض ويرفع يده إلى ما فوق رأسه ويخرج لسانه . ومعنى هذا أنه سلم سلاحه وأصبح مجردا وكف عن السب والاشتم وقدم فروض العبودية والخضوع

أفكان يفعل هذا أقصى الحكام الأتراك فى أتعس أيام جبروتهم ؟ كلا ورب الكعبة

(ب) للمفتش الانجليزى أن يفرض الغرامة التى يراها . ومن أروع أنواع العدالة . أن بعض هؤلاء المفتشين يفرضها على

الظالم والمظلوم والشهود أيضا

(ج) مفروض على الأهالي والموظفين المدنيين تحية كل موظف انكليزي يقابلونه في طريقهم ويجب على كل راكب بالغا ما بلغ شأنه أن يترجل متى رأى أحدا منهم

(د) نصبوا من الوطنيين عمدا ونظارا على القرى والحلال وأعطوا لصنائعهم من أولئك من السلطان فوق ما كان للمالك بمصر وشر ما سمعته أن للبعض أن يفرض الغرامة على من يشاء من رعاياه ويأخذها لنفسه . وأغرب ما علمته أن أحدهم استقام له الأمر في حلتة وانقطع دابر الشكايا من فرط ظلمه فضافت به الخيل واحتاج إلى المال فأق باحد المغضوب عليهم من قومه وقال له بلغني أنك قد اسأت فيما مضى إلى المرحوم فلان . عليك الآن أن تدفع غرامة قدرها كذا . فجن جنون الرجل وذهب يشكو إلى المفتش البريطاني العادل فكان جوابه أن فلانا ثقة ولا سبيل إلى تكذيبه وأجبره على دفع الغرامة اليه فكان كالمستجير من الرمضاء بالنار . افهذا أبأس يا صديقي أم الحروف في حكاية الذئب والحمل المشهورة ؟ . لا ريب عندي أن هذا أبأس . لأن ذاك لم يحتكم إلى أحد وكان خصمه هو الحكم . أما هذا فقد احتكم ولكن إلى أظلم وأعشى

من هؤلاء العمد والنظار انتخب الوفد السوداني الذي ذهب إلى انكلترا في سنة ١٩١٩ ولقن إعلان غضبه على المصريين وحكمهم ورضائه عن الانكليز وعدلهم . فليفهم المصريون هذا وليعلموا

٦ - من كتاب سادس

أثقل المستعمرون كاهل الأهلين بمختلف الضرائب . فتجى منهم على الاراضى والمساكن والماشية والالعام والماء والهواء والبول أيضا . وفوق ذلك تجى على البيع وعلى الشراء وعلى قطع الأخشاب من الغابات وعلى الانتقال إلى مختلف الجهات وعلى كل شىء مها تله وحقه وإن تنس لا تنس أن ضريبة الخروف ثلاثة وثلاثون مليا مع أن متوسط ثمنه ثلاثة أرباع الربال . وإن تنس لا تنس أن الرجل يقضى جلاء نهار وطرفا من الليل فى اقتطاع الأخشاب من الغابات فتتقاضى منه الدخولية ما يقرب من نصف ثمن ما احتطبه . وإن تنس لا تنس أن الشخص إذا بدا له أن يفتح نافذة جديدة لتهوية داره وجب عليه أن يدفع جعلا . وإن تنس لا تنس أن على كل مالك أو مستأجر أن يدفع عشرة قروش شهريا ضريبة (جردل البول) وذلك غير عوائد الاملاك والخفر . وقس على هذا

ولا تنس أيضا أن الأحكام العرفية ما تزال مبسوطة على البلاد منذ الفتح الأخير فلا يستطيع انسان أن يرفع صوته باحتجاج فالسودانى . فى الواقع . مغبون ومظلوم . لا يستطيع أن يدرأ عن نفسه ذلك الظلم البين إلا بالضراعة إلى الله بأن ينقذه من استعمار الانكليز والمصريين على السواء . بل المصريين على الأخص لأن المصريين هم الذين يتولون جباية تلك الضرائب الفادحة ويستعملون فى جبايتها الطرق التي ذكرناها لك فى كتاب مضى - دعك أجبور السكك الحديدية والبواخر النيلية فانها فوق ما يتصور العقل من الغلاء

٧- من كتاب سابع

يعرف الانكليز أن الدين هو الرز الحساس في البلاد ويعلمون علم اليقين أنه ليس أغلى على عرب السودان من دينهم وأنهم يبحثون عن حثهم إن حدثهم أنفسهم بالتعرض له بأية وسيلة من الوسائل. ولهذا اكتفوا بنشر الدعاية بواسطة المبشرين بين الزنوج بالطرق المعلومة . وبما أن هؤلاء بدورهم لا يؤمنون بغير الفتشية ولا ييغون عن دياتهم حولا . فكل جهد يبذل في هذا السيل ضائع لا محالة . وإنما هو ضرب من ضروب الاستعمار وتجربة تأخذ مداها وأداة لاستدرار العطف على حكمهم والرضا بعدلهم ويأبى الله سبحانه وتعالى إلا أن يفوت عليهم قصدهم ويعكس غرضهم . ومع ذلك فالأمر جدير باهتمام مصر والمصريين بل سائر المسلمين

٨- من كتاب ثامن

تسألني عن مبلغ ما يقال عن سياسة اخواننا السوريين بالسودان من الصحة . والحق أتى لا أدري بم أجيبك . فأنا معجب بهم مقدر لجدهم ونشاطهم . وفيهم الكثيرون من أفاضل الرؤساء وأماجد الزملاء وأماثل الزلاء

صحيح أنهم يحتلون أغلب المناصب الرئيسية بعد الانجليز في البلاد، وصحيح أنهم يساعد بعضهم بعضا . ولا غبار عليهم في هذا . فالجنس للجنس أميل . وتلك طبيعة كل أقلية في كل

مكان وزمان

أما ما يقال عن خدمتهم للسياسة الانكليزية فصحيح أيضا .
لأنهم بحكم وظائفهم . أبدى الانجليز العاملة والسنتهم الناطقة
وهذا ما يجعلهم في نظر المصريين والسودانيين في مركز لا يحسدون
عليه

٩ - من كتاب ناسع

أقيم سياج متين لمنع اختلاط العرب بالزنج - غير
الريق - واستحكم العداء بين العنصرين اللذين يتألف منهما
السودان فقالت العرب ليست الزنج على شيء وقالت الزنج
ليست العرب على شيء - شأن السياسة الانكليزية في مشارق
الأرض ومغاربها - بل لعبت بد التفريق بين العرب ذاتهم
فالبقارى يخض الجعلى وهذا الأخير يحتقر الشايقي - وهكذا
نرى خلفاء الأمة العربية هنا كأبناء عمومتهم في شبه الجزيرة

١٠ - من كتاب عاشر

أحزن ما يحزنى أنك تقول في معرض الرد على
- تشبهوا بالانكليز - الانكليز باصديقي لهم في كل بلدة
من بلاد السودان القصور الشاهقة والحدائق المنمقة التى أسست
وبنيت على حساب المصريين ومن دماء الفلاحين المساكين -
أما نحن فنقطن متفرقين في (القطاطى والتكلات) أويوت من
الطين النىء مسقوفة بجذوع الأشجار وبعض (الأبراش) وكل ما يقبها

من المدم طليها بروث البهائم — وهم يستمتعون بكل السلطان
ونحن لاسلطان لنا حتى على خدمنا الذين تؤتيهم أجورهم ضعفين
وإذا ادعى منهم مدع لدى المفتش الانكليزى أنه لم يتناول مرتبه
أجبر مخدمه على دفعه وفوق هذا بهان ويسجن إن لم يقبل الاهانة
ياقوم استخلفكم بحق مصر ألا تنسوا السودان وثقوا
بأن المصرى غريب فى بلاده هنا حقا . وأن السياسة دأبسة
على فصل الأخوين الشقيقين

لقد فرحتم أن اتصرتم على العدلين (كتب هذا فى أوائل
سنة ١٩٢٤) وهم مصريون يختلفون معكم فى الآراء . فوجها تلك
الجهود للقضاء على دسائس خصومكم بالسودان

اتحدوا اتحدوا فانه . والذي فى السماء إله وفى الأرض إله .
لاشئ أنفع من الاتحاد . واجمعوا السهام التي كنتم تترشقون بها وصوبوها
لنحور الأعداء الحقيقيين — فان لم تفعلوا — فسلام على مصر و سلام
على السودان وعفاء على الاستقلال وعفاء على البرلمان . اه

*

* *

تلك بعض آثار السياسة الجهرية التي استطعت الوقوف
عليها بمجهودى الفردى وهى قطرة من بحر وكلية من سجل .
أما السياسة الخفية فعلها عند الانكليز وحدهم وهى سر تفوقهم
الاستعمارى وقبضهم على ناصية الأمم المغلوبة على أمرها

وإذا كانت مصر مع ما بلغته من علم ومدنية قد ارتج عليها ولم تستطع أن تقف على شيء من كنه تلك السياسة ، فأحر بالسودان أن يجهلها كل الجمل

على أنى بعد الانزى وقفت عليه حتى إبعادى من السودان فى أوائل أكتوبر سنة ١٩٢٤ . أظلم نفسى وأظلم السودانين وأظلم الحقيقة إن أصررت على جهل السودانين بمآرب السياسة الانكليزية . فبتعرفى إلى الكثيرين من خاصتهم وعامتهم وباختلاطى بأوساطهم وبالصدافة التى توفقت عراها بينى وبين الكثيرين من زعمائهم . توصلت إلى معرفة حقيقة شعورهم وأتيح لى الوقوف على خفايا صدورهم وتأكدت أنه لاتكاد تخفى على عقلائهم خافية من أمر تلك السياسة

تبسطت يوما فى الحديث مع رجل من أنبه رجال كردفان واستحلفته بكل عزيز أن يصارحنى برأيه فقال لى مامعناه : (اسمع يابنى . لقد علمنا التعايشى كل ضروب النفاق وجنى على أخلاقنا أكبر جنابة حتى لكأنه كان انكليزيا أسود ففرق بين القبائل والأسر لدرجة أن الرجل منا ما كان يستطيع أن يفضى بذات صدره لأمه وأبيه وفصيلته التى تؤويه وما اجتمع اثنان منا يتناجيان إلا وهما يخالان أنه ثالثهما ففشت الغيبة والنيمة وطنى الخليلق والزلفى حتى أضحت من صفات السودانين المكتسبة . فلما جاء الانكيز ورأيناهم يسلكون مجازه وينسجون عل طرازه فيصغون لسماع كل وشاية وينشرون بيننا لحكمهم وعدلهم أوسع دعاية

وهرجون بكل من اغتر بهم وانخدع بأعمالهم . في حين أن قومك
وقفوا آنا متفرجين وآونة شبه راضين . انصرفت قلوب الناس
عنكم إلى من هم أقدر منكم حتى خيل أننا مغرمون بهم مقيمون
بحبهم . وهم لا يفقهون أن التعايش كان يتوهم هذا من قبلهم

وإني لأصارع الآن بأننا لا نبغي بغير الاستقلال بديلا
فلا نريد الانكياز ولا نريد المصريين ولا نرضى بملائكة الرحمن
أنفسهم إن هم أرادوا استعمار بلادنا . فالعبيد ذانهم يشفانون في
سبيل الحرية ونحن سادة العبيد فكيف لانفعل مثلهم . فلا يخدعك ما تراه .
أما إذا كانت مصر تعني ماتقول حقيقة وتريد أن تجعل
من السودان شريكا لها ماله وعليه ما عليها فالسودان عبد
مصر وأنا بهذا زعم

وبعد . فكل ما أنشئ بالسودان غير ما أسلفت . عدا
مشروعات الجيزة وخزان مكوار . إنما هو مال مصر وما خسرت
فيه انكثرا مثقال ذرة

فحضر اختلاق واسفاف في التبجح ما يدعيه الانكباب من
حق الفتح ومن التعمير ومن التمدن ومن كل الدعاوى
العريضة الشهيرة

واليوم الذى تتوهم فيه الامبراطورية فصل مصر عن
السودان بالفعل ما يزال بعيدا بعد السماء عن الأرض

والآن وقد انهار صرح الحجج الانكليزية من أساسه حجة

إثر حجة فلا فتح ولا ضحايا ولا مال ولا إدارة حسنة ولا عدالة

شاملة . لم تبق إلا دعوى إثارة السودانين في سنة ١٩٢٤

فلنبحث عن آثارهم ولنبين إلى أى حد قعدت مصر عن

نصرهم مع أنها لو شاءت لانتهزت الفرصة وقضت على نفوذ الانكباب

قضاء نهائيا . ولكن قدر فكان



حقيقة ثورة سنة ١٩٢٤

انجلت الثورة المهدية عن فقد عدد لا يحصى من السودانيين بالرغم مما اتصفوا به من الجلد والشجاعة والصبر والاقدام . فقد ظلوا يحاربون الانكليز في شخص مصر سبعة عشر عاما متوالية . وهم في الوقت نفسه قد حاربوا الاحباش والطيال والماليك المجاورة لهم من الغرب (المتاخمة لدارفور) فضلا عما أنزله بهم التعاشي وقومه من أنواع الظلم والارهاق وضروب العسف والاضطهاد حتى أفضى قبائل برمتها كالشكرية والكبايش اللتين كان يبلغ تعدادهما نحو المليون نفس وكاد يقضى على الشايقية والجعليين والبطانية وسواهم بمن حل بهم سخطه ونزل عليهم غضبه . وفوق هذا وذاك فقد قضت المجاعة التي حدثت في عهده على مئات الألوف منهم . وأسفرت النتيجة النهائية عن تناقص عددهم إلى أقل من النصف . واستولى عليهم ما يستولى على الكمي المنهزم من علائم الذلة ودلائل المسكنة

وكانوا قد تمنوا أن تنقذهم مصر من ظلم الخليفة وتعود بهم إلى ساحة عدلها وباحة عطفها وإذا بهم يرونها وقد غلبت مثلهم على أمرها وتولى الانكليز شأنها . وما برحوا أن رأوا للانكليز القول الفصل والسلطان الأعلى في كل شيء . ولقد كرهوا فيما مضى أن تستعين مصر . في شخص عاملها غوردون . على إدارة بلادهم بعشرات من الأجانب واثارت ثأرتهم لذلك . فبهتوا لما رأوا المساء من الانكليز يتولون كل ناحية من نواحي الإدارة واختلط عليهم

الامر وأسقط في أيديهم ولم يسعهم إلا الرضا بقضاء الله وانتهاز
الفرصة المناسبة للتخلص من ذلك الخطب الجديد

ولقد علموا بما فظروا عليه من ذكاء أن الانكباب لا يستطيع
اجلاؤهم عن السودان مالم تتخلص منهم مصر أولا . ولكن مصر
نامت وطال نومها . فلما آن لها أن تستيقظ في سنة ١٩١٩ استيقظ
السودان على أثرها . فما قام سعد بمصر حتى قام على عبد اللطيف
في السودان ووريث في اشهار دعوته ولو لم تعجل انكلترا بارسال
الوفد السودانى إلى لندن لتقديم فروض العبودية للدائرة المرنه لظل
السودان ساكنا معتمدا على أنه ومصر وحدة لا تقبل التجزئة وأن
ماسيسرى على مصر سيسرى عليه حتما ولكن تعجيل الانكباب
بارسال (وفد الولاء) قبول بالامتناع لى جميع العقلاء وعصفت
بأفئدتهم رياح الشعور والاحساس بما يراد ببلادهم فلم يروا بدا من
مؤازرة على عبد اللطيف فى السر ولم يجرؤوا على الجهر بأرائهم
خشية التنكيل بهم . فبات القدر يغلى ثم يغلى حتى أوشك أن ينفجر

فلما أن شغلت مصر بذلك الخلاف العقيم والشقاق الطائش
أشفق السودانيون منه وحسبوا حساب الفشل فاعتصموا بالهدوء والسكينة
وباتوا ينتظرون ماتأتى به المقادير . حتى إذا ماجد الجدد فى عهد
الوزارة الشعبية الأولى وطفق البرلمان يردد ذكر السودان عادوا
لاستئناف الجهاد السافر . وأقسم غير حانت . أنه لم يكن بين
السودان وبين الاستقلال التام إلا الزعامة الخازمة والعمل الحاسم

شعر الانكليز بخطورة الحال . فقاموا من فورهم بعمل
عرائض مختلفة ضمنوها (إعراب السودانين عن ولائهم لهم
وارتياحهم لوجودهم ورضائهم عن حكمهم واغتيالهم بعدهم .
ونقمته من المصريين الظالمين والاشادة بذكر مظالمهم المزعومة
وفظائع الدفتردار وما إلى هذا من أفانين الكذب وضروب المين)

وقام المستر ولس مدير مصلحة المخابرات بنفسه وبمن
يثق به كل الثقة من رجاله للحصول على توقيعات زعماء القبائل
وعمد العشائر ونظار الأقسام على حدة وتوقيعات العامة وحدها

أحفظ هذا العمل الجريء نفوس الشبان والمتوقدين
من الأهالي فقاموا بحركة مضادة وسعوا بدورهم للحصول على
توقيعات نفس الأشخاص الذين وقعوا لمدير المخابرات وعماله معلنين
(أنهم أكرهوا إكراهاها على التوقيع للبدر المذكور وأن كل
ما جاء بتلك العرائض الزائفة باطل ولا ظل له من الحقيقة وأنهم
لا يبتغون سوى البقاء إلى الأبد في حظيرة الوطن الأكبر وأن
مصر والسودان جزء لا يتجزأ)

وشهد الله أنني وقفت على سر الموضوع من مبدأ الأمر
وعلمت بحركة الانكليز وهى وليدة وآمنت بوجود القضاء عليها
ولما تبلغ أشدها . ورجع الفضل فى ذلك إلى صديق البطل
الوطنى الغيور اليوزباشى (بكباشى الآن) محمد صالح جبريل
فقد وقف على الحقيقة من الزعيم الباسل على عبد اللطيف وأسرها

إلى في الحال وزودنى بما وقع في يديه من الوثائق

فبادرت بمخاطبة أولى الأمر بمصر وأخطرهم بكل التفاصيل
وشفعت ذلك بعريضة من العرائض المطبوعة في مصلحة المخبرات
وأظهرت تمام الاستعداد للقيام بحركة علنية مضادة حتى إذا ما قبض
على وشرع في محاكمتي أعلنت على رؤوس الأشهاد أنني إنما أقابل
عملهم بعمل مثله . والبادئ أظلم . وقلت إنني مستعد للبوت في هذا
السييل ، وكنت أوقن أن مثل هذا العمل الجدى من قبل المصريين
من شأنه . على الأقل . أن يكشف سرهم ويفضح كيدهم ويفوت
عليهم غرضهم . وأن مصر تستطيع بعد ذلك أن تلزمهم الحجة
وتثبت عليهم الكيد والدس

ولكنني أمرت تلغرافياً بوجوب التريث وانتظار التعليمات .
وكنت قد شرعت في مهمتي بالفعل . ولكن في السر . قيل ذلك
فاجتمع لى نحو الثلاثة آلاف توقيع في بضعة أيام . فاضطرت
لايقاف كل شيء انتظاراً للتعليمات

وجاءنى كتاب من الوسطاء بعد أسبوعين يقولون فيه
(إن أولى الأمر لم يقرؤا رأيي ولم يوافقوا على عملي)

فكانت النتيجة انعكاس الآية وإهمام المصريين بتأليب
السودانيين ودس الدسائس للإدارة الانكليزية

ومن رعى غنما في أرض مسبعة * . ونام عنها تولى رعيها الأسد

وقف المصريون متفرجين . مع الأسف الشديد والألم الممض .
ولو وقف مصريو السودان مع اخوانهم وتعاونوا على العمل المجدى .
كما ادعى الانكليز زورا وبهتانا . لاستقل السودان ومصر فى سنة
١٩٢٤ . فقد طاشت سهام السياسة الانكليزية وذهلت لما رآته من
مظاهر الوطنية وأوشك زمام الأمر أن يفلت من يدها حتى أصبحت
تنقض فى يومها الحاضر ما أبرمته فى أمسها الدابر وبادرت باتخاذ أقسى
التدابير وأجرتها دون تفكير فى النتائج لفرط ماحاق بها من الفرع
والخيرة وباتت تحبظ خطب عشواء فى سبيل القبط ~~على~~
ناصية الحال

فلو أن مصر تشجعت قليلا لردت كيدها فى نحرها وخطت
خطوة حاسمة نحو الغاية التي تنشدتها ولكنها استكانت وجبت فغلبت
على أمرها وكان الذى كان

وان أنت لم تعرف لنفسك حقها * هوانا بها كانت على الناس أهونا
فما كان يجب أبدا الرضا بأبعاد أورطة السكة الحديدية عن
السودان . بل كان من الضروري ردها ورد كل ضابط وموظف قضى
(بطرده) لمجرد اتهامه بالاشتغال بالسياسة

وكان واجبا قبل هذا وذاك ارسال النقود التي جمعت باسم
منكوبي السودان لاربابها . فالقعود عن ارسالها كان من أهم البواعث
لانتقاد الحركة وفتور الهمم وخور العزائم

وتحرير الخبر أن كل من كان يقبض عليه من السودانيين فيحاكم

ويحكم عليه بالسجن يتضور أبنائه جوعا لاعتقال عائلهم . ومن ثم لا يرى
سواه معنى للجناية على ابنائه . والى هنا يقف اليراع فما كل ما يعرف
يقال (ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى)

على أنى أذكر للحقيقة والتاريخ اننى بعثت لولاية الأمور فى
ذلك الحين ملف قضية محكوم فيها على ثلاثة أشخاص بالسجن ثلاث
سنوات وحيثيات الحكم مبنى جلها على (جريمة) الهتاف لحضرة صاحب
الجلالة ملك مصر والسودان ، وقلت إن أحدهم ترك من ورائه ذرية
ضعافا . لا أذكر عديدها . وكلهم يشكو مرارة الجوع وألم العرى وهم
فى حالة تستدر عطف الجداد ، بعد أن حرموا اربعة عشر جنينها كان
يتقاضاها عائلهم مرتبا شهريا وذكرت أن أمثال هذا يساقون بالعشرات
الى السجون فى كل يوم دون أن يعرفوا مصير أسرهم . فلم يستمعوا الى
(ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون)
ومرة أخرى (ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى)

وتلفتيت يوما من صديق سودانى صورة تلغراف بالشفرة
وتعريبه مرسل من قومندان قسم الخرطوم الى قومندان قسم كردفان .
حوالى منتصف شهر أغسطس سنة ١٩٢٤ . يقول فيه مامعناه :—
يراد ابعاد البلوك الليادة الموجود بالابيض من الأورطة الثالثة المصرية
الى الخرطوم وحلول بلوك انكليزى محله . فاعمل الترتيب اللازم لذلك
وعلى قومندان البلوك المذكور أن يفهم أن هناك اضطرابات وقعت

بالقاهرة ترتب عليها قيام الأورطة الرابعة العسكرية بالخرطوم الى مصر وحلول هذا البلوك محلها

فأخطرت بهذا اليوزباشى (بكباشى بالمعاش الآن) ابراهيم افندى تادرس الذى كان قائما باعمال البلوك لغياب القومندان بأجازة قبل أن يخطره قومندان القسم باربع وعشرين ساعة وكان الرجل وطنيا وشهما وبعد التفاهم مع سوانا من صادق الوطنية ، عرضت جملة حلول ثورية ولكنها رفضت لتغلب الحكمة وأقرت الأغلبية وجوب ارسال استفسار برقى لقومندان الأورطة الثالثة بالخرطوم عقب ابلاغ ~~لايميس~~ ~~سورئيس~~ البلوك من لدن قومندان القسم

فلما أبلغ اليه الأمر فى اليوم التالى وبعث اليوزباشى يستفسر قومنداناه جاءه الرد باطاعة الأوامر . وقامت الجنود المصرية واحتل ثكناتها بعد اسبوع واحد جيش انجليزى .

وبعث بهذا وبغيره وغيره لذوى الشأن . ولكن بدون .

نتيجة III

ومرة ثالثة (ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى)

وأخيرا كان لزاما . فى اعتقادى . ويشاطرنى اخوانى السودانيون رأي أن تموت بضع مئات الضباط والجنود وكل المصريين الذين كانوا بالسودان عند مقتل السردار قبل أن يصل اليهم الأمر الملكى الكريم . ولا يتركوا السودان لقمة سائغة للانكليز

ولو أنى بقيت معهم لفعلت . ولكنى (طردت) قبيل ذلك

بحجة أن وجودى خطر ولا ذنب لى إلا الاخلاص للواجب الوطنى
وهكذا ترتب على سكوت مصر كل ما حدث بعد ذلك من
المحن والآراء مما لا يزال ماثلا فى الأذهان وواضحا للعيان
فنذا الذى أثار السودانين أولا ونكل بهم أخيرا ؟؟؟
اللهم فاشهد وأنت خير الشاهدين



الخاتمة

ليس أدل على حب السودانين لمصر وتعلقهم بها من كون أهل كردفان مع اشتغالهم بالتدين ومع اعتقاد المستعمرين انهم يحملون بين جنوبهم أشد البغضاء للمصريين . قد قبلوا عن طيب خاطر أن يمتنعوا عن صلاة الجمعة بمسجد الأبيض احتجاجا على حذف الدعاء لجلالة الملك من الخطبة

فلا أول مرة لوحظ فيها اغفال الاسم الكريم ظننت ان الأمر غير مقصود فلما تأكدت أن هذا من صغار السياسة الانكليزية . عرضت فكرة هذا الاحتجاج على بعض الاخوان . فقبول اقتراحي بالهزء والسخرية من جانب دعاة اليأس من المصريين ، واجمعوا على أنى لن أستطيع ان اكتب موافقة سودانيين اثنين على اقتراحي فلما كانت الجمعة التالية وانصرف اغلب المصلين قبل أن ينزل الخطيب من فوق منبره ولم يبق في الجامع على سعة الا بضعة عشرات ممن لم يتصل بهم الخبر ولم يفقهوا السر فيما حصل . اكبروا هذا الشعور الرائع . وذهبنا جميعا فاقفنا الصلاة في فضاء خارج البلدة ولا يزال الزوج من رديف الأورط السودانية يعززون كل الاعتزاز بأنهم من جنود (افندينا) ويعتبرون هذا مجدا لهم وغفرا لقييلهم . ولا يزال من يشتغل منهم في البوليس والحفر يستعمل الاصطلاحات العسكرية القديمة (التركية) الى يومنا هذا

ويذكر العبيد لمصر فضل تحريرهم والقضاء على تجارة الرقيق
بينهم ولا ينسى الشلوك ما كان من أمرها معهم يوم استدعى اسماعيل
ايوب باشا حكام السودان مليكهم كيكون بك وسله ألف رأس
من رقيق قومه ضبطهم الحكومة مع الجلابة

أما العرب فابناء عموثنا وخوولتنا . واذا كانت الايام قد
ضربت بضربائها بيننا حينا من الدهر . فقد علوا ما لمصر عليهم
من أياد وأن حكومتها السابقة على إعلانها كانت بهم أرحم ولهم
اصليهم من حكومة الدناقلة والبقارة . وفهموا أن الانكباب إنما
يستغلون بلادهم بكل طرق الاستغلال حتى تصبح أخصب مزرعة
للمعامل يوركشير ولانكشير . وقد ذاقوا وبال فعلهم وخبروا حقيقة
أمرهم . وما عهد اتزاع ملكية أراضى الجزيرة من أيدي
ملاكها يعيد

وان ينس حضرة صاحب الفضيلة الحبيب النسيب السيد على
المرغنى زعيم السودان غير منازع . لاي نس أن اعتزاز مصر بشيعة السادة
المرغنية واجلالها لزعم الاسرة الشريفة وتأيدها لطريقته القويمة كان
من اكبر اسباب الثورة المهديّة التى خسرت فيها أحب مال وأعز بنين
ولن يعزب عن أذهان حضرات السيد عبد الرحمن المهدي
والشريف يوسف الهندى والسيد اسماعيل الأزهرى والاستاذ أبو دقن
والشريف حمد النيل والسير على التوم وأمثالهم من الزعماء والعقلاء
والمفكرين ان مصر تعتبر السودان جزءا متما لها وأنه ليس احب اليها
يوم يعود الى احضانها من تعامله معاملة الغرية واسوان وأن فكرة

الاستعمار لم تنبت الا في رءوس الانكلز أملتها الاحقاد والسخائم
وهول الفرع من اليوم الأغر المنتظر

بق أن يفهم سواد المصريين أن اليوم الذى يتحق فيه فصل
السودان عن مصر بالفعل انما هو آخر يوم فى حياة بلادهم ، وأن
انكلترا تسعى السعى كله للقبض على نواصينا بالماء ، وأنها تسلب باليمين
ماتعطى باليسار فلن ترفع يدها عن مصر من الشمال إلا لتضعها
عليها من الجنوب

وإذا كان فلاحونا يتقاتلون فيقتلون ويقتلون على مياه الرى
وما يزال النيل نيلنا فإذا عساهم أن يصنعوا يوم يمسى النيل انكلزيا ؟
أيها المواطنون

لقد كنا أول من تفرد فاسر فى أذن الزمان أن عهد
الذلة والمسكنة قد مضى وانقضى وأنه لن يعود . وآية ذلك أننا تحررنا
غداة الهدنة يوم سكن المحاربون ، وثرنا بعيد الحرب وقتما هدا الثائرون .
فزلزلت الأهرام زلزالها ، وأفضى أبوالهول بكلمة من سره الرهيب .
فأصغى له الدهر ، وأنصت العالم أجمع

وكانت مصر أول من أغار على حصون الاستبداد فدك منها
معقلا ، وأسبق من فوق السهام الى قلب الاستعباد فأصاب منه
مقتلا وأصبحت ثورنها أضوا نور تلالاً فى سماء الحرية ، وأعلى
صيحة أهابت بالنوام أن دحى على القومية ، وأرفع لواء سما ورفرف
على هام الوطنية

وعنها تلقت سائر أمم الشرق دروس النضحية والجهاد ، فقصت
بالأمل الزاهر على اليأس القاهر ، وما برحت تفتن في طرق الجلال ،
وتشتد في سبل العناد حتى سبقتنا بمراحل ، واضحت الغاية المنشودة
منها على قاب قوسين أو أدنى

فيا أسفا على مصر ، ويارحمتهاه لنا ، وواعاراه علينا .
أيقظنا غيرنا ونمنا ، فصاح وسكتنا ، وسار حيث وقفنا ، وجد
وتقاعدنا ، واتحد وتفرقنا . وما ذلك إلا لأن بأسنا بيننا شديد بحسبنا
الخير والشر والحب والبغضاء

دعوا الحزبية . والتحزب من أجل السودان على الأقل (ولا يجرمكم
شأن قوم أن تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) . واتقوا الله في
وطنكم ، ولا تترصبوا ببعضكم الدوائر فتدور الدوائر عليكم جميعا ،
وليوقن الكل أن مسألة السودان بالنسبة لنا مسألة حياة أو موت

وبعد . فلا يأس مع الحياة ، ولا حياة مع اليأس ، وأعمار الأمم
بالحقب والأجيال لا بالأيام والأعوام . فالاتحاد الاتحاد ، والجهاد
الجهاد ، والثبات الثبات ، والدعوة الدعوة إلى مقاطعة كل فرد أو حزب
تسول له نفسه أن يرضى بما دون الاستقلال التام لمصر والسودان



للورقة العربية للكتاب العربي



٨ مجلة الحرائق - الجمالية - ت: ٩١٨٢٠٥

الزمن الحرة للتحليل النفسي



٨. عطف الجوانب: الجملتان معاً ٩.١٥٠

